

معارضة ابن تيمية لأدلة المخالفين في ختم النبوة

Ibn Taymiyyah's opposition to the evidence of violators in the seal of the prophecy

إعداد

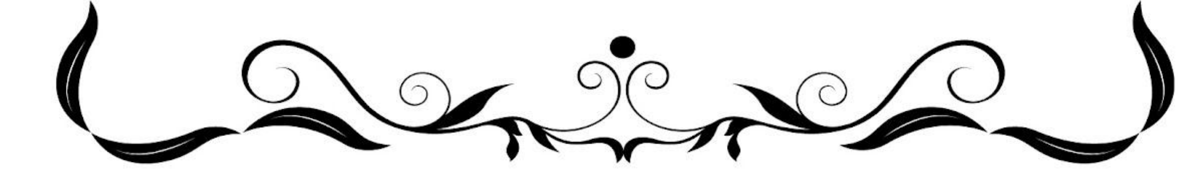
خالد بن حماد بن حمدي الفارسي

Khalid Hammad Hamdi Al-Farsi

Doi: 10.33850/jasis.2022.234497

الاستلام : ٢٧ / ٢ /٢٠٢٢ القبول : ٨ / ٣ /٢٠٢٢

الفارسي ، خالد حماد حمدي (٢٠٢٢). معارضة ابن تيمية لأدلة المخالفين في ختم النبوة. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، مج (٦)،ع (١٩)، ص ص ١٥٩ - ٢٠٨.



معارضة ابن تيمية لأدلة المخالفين في ختم النبوة

المستخلص:

هدفت الدراسة الى إبراز جهود شيخ الاسلام ابن تيمية في نقده لأدلة المخالفين ومعارضتها. وبيان موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية للسلف في معارضة كثير من أدلة المخالفين. ومعرفة منهج شيخ الاسلام ابن تيمية في النقد والمعارضة. ولا شك أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي الرسالة الخاتمة ؛ ولأن دينه خاتم الأديان ؛ لذا كانت معجزته عقلية خالدة، باقية ما بقى الزمان، فقد كانت الرسالات السابقة على الإسلام معجزاتها حسية لا تتجاوز فترة حياة النبي صاحب المعجزة أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم فهى باقية؛ لأنها تخاطب العقل فى كل زمان ومكان. ولقد تحدى القرآن الكريم أن يأتى العرب وغير العرب بمثل سورة منه فعجزوا عن ذلك منذ نزل القرآن الكريم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

Abstract:

The study aimed to highlight the efforts of Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah in his criticism of and opposition to the evidence of the violators. And the statement of Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah's approval of the predecessors in opposition to many of the evidence of the violators. And knowing the approach of Sheikh Al-Islam Ibn Taymiyyah in criticism and opposition. Undoubtedly, the message of Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, is the final message. And because his religion is the seal of all religions. Therefore, his miracle was an eternal mentality, remaining as long as time remains. The pre-Islamic messages were sensory miracles that did not exceed the lifetime of the Prophet, the owner of the miracle. As for the miracle of Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, it remains. Because it addresses the mind in every time and place. The Holy Qur'an has challenged the Arabs and non-Arabs to come up with a surah like it, but they have been unable to do so since the revelation of the Holy Qur'an and until God inherits the earth and those on it.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهونه عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين[١].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الناس أجمعين، الذي تركنا على المحجة البيضاء لا يزغ عنها إلا هالك، ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

إن الصراع بين الحق والباطل باق الى قيام الساعة، وقد وعد الله بأن تكون الغلبة لعباده المتقين المتبعين لرسله فقال سبحانه:(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين۞إنهم لهم المنصورون ۞ وإن جندنا لهم الغالبون)[٢]

قال الإمام الطبري رحمه الله: "أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج... وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون، يقول: لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا والخلاف علينا"[٣]، وهذا النصر ساعة يكون بالسنان، ودائما بالحجة والبيان.

وقال ابن القيم رحمه الله: فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين: جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان، وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل، وهو جهاد الائمة، وهو أفضل الجهادين؛ لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة اعدائه، وقال الله تعالى في سورة الفرقان وهي مكية:(ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا۞فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا)[٤]،فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضا، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ومع هذا فقد قال تعالى:(يا أيها النبي

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ص٥٥-٥٧.

(٢)الصافات:١٧١ _ ١٧٣

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ١٩/ ٦٥٨.

(٤))الفرقان: ٥١ _ ٥٢

جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ۚ ومأواهم جهنم ۖ وبئس المصير)[٥]ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن"[٦].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الراد على أهل البدع مجاهد حتى كان يحيى بن يحيى يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد"[٧].

وقد قام أئمة الدين والهدى بواجب الدفاع عن الدين بالبيان خير قيام، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ومؤلفاته الكثيرة وردوده على المخالفين من جميع الأديان والفرق والطوائف خير شاهد على ذلك.

ومن هنا تكمن أهمية دراسة منهج شيخ الإسلام وطرقه في الحجاج والمعارضة لأقوال المخالفين وأدلتهم، لذا جاء اختيار هذا العنوان: **معارضة شيخ الإسلام ابن تيمية لأدلة المخالفين في ختم النبوة**

لإبراز جهود هذا الإمام في نصرة الحق وأهله، ومعارضته لأدلة المخالفين بعلم وعدل وحسن بيان مع موافقته لسلف الأمة في التقرير والاعتراض. والله أسأل أن يكسو عملي ثوب الإخلاص ويجعله سبب الخلاص، وأن يجمله بحلة القبول فهو سبحانه خير مسؤول وأكرم مأمول.

أهداف البحث:

١-إبراز جهود شيخ الاسلام ابن تيمية في نقده لأدلة المخالفين ومعارضتها.
٢-بيان موافقة شيخ الإسلام ابن تيمية للسلف في معارضة كثير من أدلة المخالفين.
٣-معرفة منهج شيخ الاسلام ابن تيمية في النقد والمعارضة.
٤-تحرير محل النزاع مع المخالفين والطرق العلمية للاعتراض عليها وفق منهج أهل السنة والجماعة.

أهمية البحث:

١- أهمية إبراز موافقة شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله للسلف الصالح في معارضاته للفرق المخالفة وإبراز الجوانب الإبداعية لابن تيمية رحمه الله.
٢- إبراز تعدد أنواع المعارضة عند شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.
٣- تحرير محل النزاع مع المخالفين وإبراز منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الاعتراض عليهم ونقد أدلتهم.

([٥]) التوبة: ٧٣
([٦]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص٧٠.
([٧]) الانتصار لأهل الأثر (نقض المنطق)، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن حسن قائد، الناشر: دار عالم الفوائد -مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ه، - ص٢١.

٤- معرفة أقوال المخالفين ومناقشتها مما يقوي الجانب العلمي لطالب العلم.
٥- مما يوضح أهمية الموضوع مكانة ابن تيمية العلمية وقوة استدلاله رحمه الله ورده على المخالفين.
٦- عدم التطرق لموضوع البحث مع أهميته العلمية.

الدراسات السابقة:

- موضوع معارضة شيخ الإسلام ابن تيمية لأدلة المخالفين هو مشروع بحثي وفيه عدد من طلبة الدكتوراه بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية (مسار العقيدة والدعوة) بجامعة الملك عبد العزيز وقمت باختيار باب النبوات في هذا المشروع.
- بعد التواصل مع مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث أتضح أن هذا البحث لم يسبق وأن بحث.

أسباب اختيار البحث:

١- ما سبق ذكره في الفقرة السابقة من أهمية البحث في هذا الموضوع.
٢- قلة الكتابات المتخصصة في هذا الباب.
٣- توضيح أهمية معارضة أدلة المخالفين لأهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد.
٤- قلة البحوث في هذا باب المعارضات.
٥- التراث العقدي يحوي كثيرا من مسائل المعارضات العقدية المبنية على هذا المصطلح؛ فالحاجة ماسة إلى جمعها من مظانها، ودراستها دراسة عقدية.
٦- سيكون هذا المشروع انطلاقة لمشاريع بحثية أخرى تقوم على معارضة أدلة المخالفين لأهل السنة والجماعة من السلف الصالح ودفاعهم العقيدة الإسلامية.

حدود البحث:

تم تحديد البحث بالحدود التالية:
١. يتم استخراج مسائل المعارضات في باب النبوات وأدلة المخالفين ومعارضة ابن تيمية لها.
٢. الاقتصار على المسائل العقدية في باب النبوات فقط، دون غيرها من المسائل العقدية الأخرى.
٣. دراسة المسائل تكون بعرض أدلة المخالفين في باب النبوات ومعارضة ابن تيمية لهذه الأدلة من كتبه.

منهج البحث:

١- استخدام المنهج التكاملي الذي يجمع بين المناهج التالية:
أ. الاستقراء: من خلال تتبع المواضع التي ناقش فيها ابن تيمية أدلة المخالفين موضع الدراسة.

ب. التحليلي: من خلال تحرير محل النزاع عند المخالفين وبيان أوجه معارضة ابن تيمية لهم.
ج. النقدي: من خلال إبراز نقد ابن تيمية لأدلة المخالفين وبيان موافقته للسلف.
٢- توثيق المعلومات ونسبة كل قول إلى قائله وفق المنهج العلمي.
٣- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها من المصحف وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٤- تخريج الأحاديث فإن أخرجه الشيخان أو أحدهما فإني اكتفي بالعزو إلىأحدهما، ومالم أجده في الصحيحين فإني أخرجه من بقية كتب السنة مع بيان درجة الحديث عند أهل الحديث.
٥- تخريج الآثار بعزوها إلى أماكنها من الكتب الحديثية وكتب العقائد.
٦-ترجمة الأعلام غير المشهورين.
٧- عند النقل من أي مصدر أو مرجع فإني أكتفي بذكر اسم الكتاب وصاحبه ورقم الطبعة والناشر عند أول ذكر لها وسأذكرها بالتفصيل عند ذكري لفهارس المصادر والمراجع.
٨- تذييل البحث بعدة فهارس لتيسير الاستفادة منه.
٩- قد يطرأ للباحث مسائل خلال بحثه مما يجعل الخطة قابلة للتعديل بما يحقق الهدف من البحث.

تمهيد:

ختم النبوة لغة وفيه مسائل:

أولًا: الختم لغة:

عند الرجوع إلى كتب اللغة أن مادة ختم لها عدة معان، وهي على النحو التالي:

١-الطبع:

قال صاحب المحكم: " ختمه، يختمه، ختما: طبعه "[٨]

وقد ذكر هذا صاحب اللسان[٩] والقاموس المحيط[١٠].

وفى تاج العروس: " معنى ختم وطبع واحد في اللغة "[١١]

٢-تغطية الشيء والاستيثاق منه بحيث لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء.

قال صاحب المحكم: " والختم على القلب ألا يفهم شيئا ولا يخرج منه شيء كأنه طبع. ومعنى ختم وطبع في اللغة واحد، وهو التغطية على الشيء والاستيثاق من ألا يدخله شيء كما قال عز وجل: {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[١٢] "[١٣]

([٨]) المحكم لابن سيده (٥/ ٢٦) بتحقيق إبراهيم الأبياري.

([٩]) لسان العرب (١٢/ ١٦٣).

([١٠]) القاموس المحيط (٢/ ١٥) بترتيب الزاوي.

([١١]) تاريخ العروس للزبيدى (٨/ ٢٦٦).

([١٢]) الآية (٢٤) من سورة محمد.

وذكر هذا صاحب اللسان[١٤] وصاحب تاج العروس[١٥].

٣-آخر الشيء ونهايته:

قال صاحب المحكم: " وختم الشيء يختمه: ختما بلغ آخره، وخاتم كل شيء: عاقبته وآخرته، وختام كل مشروب آخره، وفرض التنزيل {خِتَامُهُ مِسْكٌ}[١٦] أي آخره، وختام القوم وخاتمهم آخرهم... وفي التنزيل { وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }[١٧] أي آخرهم "[١٨]

وقال صاحب المفردات في معرض كلامه عن الصور التي يرد بها لفظ الختم: " وتارة يعتبر منه بلوغ الآخر ومنه قيل: ختمت القرآن أي انتهيت إلى آخره ... إلى أن قال: " وخاتم النبيين لأنه ختم النبوة، أي تممها بمجيئه صلى الله عليه وسلم "[١٩]

وقال صاحب القاموس: " والخاتم من كل، شيء: عاقبته وآخرته، وآخر القوم كالخاتم "[٢٠]

" هذه هي المعاني اللغوية لفعل " الختم " واسم فاعله " خاتم " كما أوردها أعلام اللغة في مصنفاتهم عن العرب، وهي مع تعددها وتعدد ألفاظها المعبرة عنها والتي هي: الطبع على الشيء وإنهاؤه وتغطيته وآخر القوم وعاقبة الأمر، هي مع ذلك كله تتمشى مع دلالة قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} على أن النبوة قد طبع عليها فلا تفتح، وأنها قد انتهت وسدت بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر الأنبياء وشرعه آخر الشرائع وعاقبتها "[٢١]

ثانيًا: معنى ختم النبوة:

تقدم معرفة معنى الختم في اللغة، وتقدم أيضًا معرفة معنى النبوة في الفصول السابقة.

ثالثًا: معنى ختم النبوة لغة وشرعًا:

بعد أن عرفنا معنى كلمة "ختم" في اللغة ومعنى كلمة "النبوة" في اللغة والشرع فما هو المعنى المراد منهما بعد أن يركبا كلمة واحدة؟

---

[١٣] المحكم (٥/ ٢٦).

[١٤] لسان العرب (١٢/ ١٦٣).

[١٥] تاج العروس (٨/ ٢٦٦).

[١٦] الآية (٢٦) من سورة المطففين.

[١٧] الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.

[١٨] المحكم (٥/ ٢٦).

[١٩] المفردات (ص ١٤٢-١٤٣).

[٢٠] القاموس (٢/ ١٥) بترتيب الزاوى.

[٢١] كتاب عقيدة ختم النبوة للدكتور أحمد بن سعد الغامدي (ص ١٣)

فإذا ما ركبا في جملة واحدة هي " ختم النبوة " فإنه يكون معناها " انتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء "[٢٢]

المبحث الأول : أقوال المخالفين وأدلتهم في باب ختم النبوة

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية عقيدة ثابتة راسخة في هذه الأمة، وهي تمثل السياج الحصين الذي يحفظ لهذه الأمة وحدتها وقوتها.

وأي خروج على هذه العقيدة بأي صورة كان هذا الخروج فإنما هو خروج على الإسلام ومضادة لشريعة الايمان.

وقد وجدت فرقًا وطوائف خرجت على هذه العقيدة متقمصة في ذلك أثوابًا عدة إلا إنها في النهاية ترجع إلى خطين متوازيين لكل منهما ملامحه الخاصة وهما:

الأول: خط التصريح الذي يدعي أصحابه النبوة المطلقة.

الثاني: فتح باب الوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم مع عدم التصريح بادعاء النبوة.

أولًا: الشيعة الإمامية:

فالإمامية جوزوا نزول الوحي على الأئمة الذين يعتقدون امامتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبما ورد في مصادرهم لما في ذلك من مخالفة عقيدة ختم النبوة وسأعتمد في ذلك على أهم مراجعهم وهو كتاب أصول الكافي[٢٣] والذي له من المكانة عندهم ما لصحيح البخاري عند أهل السنة[٢٤] .

ادعاء نزول الوحي عند الإمامية:

فقالوا إن الوحي مازال ينزل وأنه وقع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أول وحي ادعت الإمامية وقوعه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو "لفاطمة" بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أسند في كتاب الكافي إلى أبي عبد الله-جعفر الصادق [٢٥]- أنه قال : (وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة

---

(٢٢)المصدر السابق (ص ١٦).

(٢٣) يقول أحد شراح الكتاب (ان كتاب الكافي في طليعة الكتب الأربعة التي هي محور العمل عليها) ص ٣ من شرح كتاب الكافي لعبدالحسين المظفر

(٢٤) ضحى الإسلام (٣/٣١٣)

(٢٥) الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن ريحانة النبي -صلى الله عليه وسلم-ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وأرضاهم وأمه: هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها: هي أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، فأمه يتصل نسبها إلى أبي بكر الصديق من جهة أمها، ومن جهة أبيها أيضًا.
ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين، ولد: سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، قال الذهبي: " أحسبه رأى: أنس بن مالك، وسهل بن سعد .ينظر " سير أعلام النبلاء " (٦/٢٥٥-٢٧٠).

عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[٢٦].

ثم ذكر: (إنَّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها، ويُطيب نفسَها، ويُخبرها عن أبيها ومكانِه، ويُخبرها بما يكون بعدها في ذرِّيتِها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليه السلام)[٢٧].

فقد أثبت في هذا الأثر أن فاطمة رضي الله عنها كان ينزل عليها جبرائيل وكتبت عنه مصحفًا أكبر من مصحف أبيها وفيه ما ليس فيه كذلك!

وأسند إليه أنه قال كذلك: (علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الاسماع. وإن عندنا الجفر الأحمر والجفر الأبيض ومصحف فاطمة عليها السلام، فقال: أما الغابر فالعلم بما يكون، وأما المزبور: فالعلم بما كان، وأما النكت: في القلوب فهو الالهام، والنقر في الاسماع: حديث الملائكة، نسمع كلامهم ولا نرى أشخاصهم.)[٢٨]

وأورد بسنده كذلك أن الحسن بن العباس سئل إمامهم الرضا: (ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام: أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم (ع)، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص.)[٢٩]

ففي هذين الأثرين اثبات سماع الملك لأئمتهم ولا شك أن الملك إنما ينزل بأمر من الله عزوجل كما قال الله تعالى: (وما نتنزل إلا بأمر ربك)[٣٠]

وفي الأثر الثاني أكثر توضيحًا من الأول اذ فيه أن الوحي للنبي على طريقتين:

الأولى: السمع من الملك مع رؤية شخصه.

الثانية: السماع دون الرؤية، والإمام يشارك النبي في هذه الطريق من الوحي.

وبذلك يسمى نبيًا، يشهد لذلك عندهم هذا الأثر الآتي:

قال أبوعبدالله عليه السلام: الانبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيرها.

ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام.

---

(٢٦) الكافي (١/١٩٩)

(٢٧) نفس المصدر (١/٢٠٢)

(٢٨) الكافي (٣/٢٤٨)

(٢٩) الكافي (٣/٣٠)

(٣٠) سورة مريم ٦٤

ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا، كيونس قال الله ليونس: " وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون " قال: يزيدون: ثلاثين ألفا وعليه إمام.
والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل اولي العزم.)[٣١]
ففي هذا الأثر أن السماع للصوت دون الرؤية للشخص احدى درجات النبوة عندهم، فالأئمة عندهم أنبياء لأنهم يسمعون صوت الملائكة بدون رؤيتهم.
ونقلوا أن أحدهم سأل جعفر الصادق عن مكانة الإمام الذي أمر بطاعته هل يوحى إليه أم لا؟
فأجاب: بأن نعم –كما رواه الكليني حيث قال: (كان المفضل عند أبي عبد الله عليه السّلام فقال له المفضل جعلت فداك يفرض الله تعالى طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟
قال لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء.)[٣٢]
ويقول الشارح للكافي: (كيف يفرض الله سبحانه وتعالى على الناس طاعة عبد وهو ليس له من العلم ما يحتاجونه بل الله أعز وأكرم من أن يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ولذلك الأمامية ذهبوا إلى أن الإمامة لا تصلح إلا لمن له منزلة النبوة.)[٣٣]
بل وصل بهم الغلو في الأئمة أن قالوا إن الأئمة يعرفون أمورًا غيبية لا يعرفها البشر إلا بالوحي وذلك تحت عناوين عدة في كتابهم ذلك –أصول الكافي-وهذه بعض تلك العناوين:
باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم[٣٤] .
باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا[٣٥] .
باب أن الأئمة عليهم السلام علموا ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء[٣٦] .
ونحن نعلم أن معرفة الغيب خاصة بالله سبحانه وتعالى ولا يصل إلى معرفة شيء منه إلا الرسل وذلك باطلاع الله لهم.
فإما أن يكون هؤلاء آلهة أو رسلًا وهم لا يدعون لهم الألوهية –كالغلاة-فإذن يكونون رسلًا، والرسل لا يعلمون ذلك إلا بالوحي فأئمتهم إذن يوحى إليهم على أقل تقدير[٣٧] .

([٣١]) الكافي (١٢٣/٣)
([٣٢]) الكافي (٢٤١/٣)
[٣٣]([٣٣])نفس المصدر (٢٤٤/٣)
([٣٤])الكافي (٢٣٢/٣)
([٣٥])الكافي (٢٧١/٣)
([٣٦])الكافي (٢٣٢/٣)
([٣٧]) أي بهذه الأوصاف

فهذه هي عقيدتهم في أئمتهم من مصادرهم بدأوا فيها باثبات الوحي لفاطمة حتى ادعوا مصحفًا خاصًا نزل به عليه جبريل عليه السلام، ونسخه علي بن أبي طالب وهذا المصحف مستقل عن القرآن، وليس فيه مما في مصحف المسلمين الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا حرف واحد... إلى آخر تلك الخرافات السابقة.

ثم لما مهدوا لتلك العقيدة السابقة – نزول الوحي على فاطمة-سهل عليهم أن يصلوا إلى اثباته للأئمة الذين هم الأوصياء على الشيعة بعد علي رضي الله عنه وذلك عن طريق سماع صوت الملك دون رؤية شخصه.

وهذه الطريق هي احدى طرق الوحي في درجات النبوة كما قالوا في تقسيميهم الأنبياء إلى طبقات.

ثانيًا: غلاة المتصوفة:

عندما نرجع إلى آراء الصوفية، وأفكارهم، عقائدهم ومعتقداتهم، كتبهم ورسائلهم، رواياتهم ومقولاتهم، تصريحاتهم وعباراتهم، نجد معظم هذه الأفكار وطابعها واضحًا جليًا، بل إنها عين هذه الترهات والخزعبلات، مبثوثة منشورة في كتب الأولين منهم والآخرين.

وهاهي النصوص:

فيقول الصوفي الكبير عبد القادر الحلبي المعروف بابن قضيب البان: (كل ما خصّت به الأنبياء، خصّت به الأولياء.) [٣٨]

وما هي اختصاصات الأنبياء غير الوحي، ونزول الملائكة، وكلام الربّ معهم، وإخبارهم عن الغيب، وكونهم معصومين عن الخطأ والزلل في تبليغ رسالات الله التي يريد ابن البان إشراك غيرهم معهم من الصوفية؟

وهل لسائل أن يسأل: أو بعد مشاركة الغير يبقى الاختصاص اختصاصا؟

وقبل أن نتعمق في هذا نريد أن نضع النقاط على الحروف، كي لا يتوهم المتوهم أننا نلزم القوم على ما لا يتقولونه ويعتقدونه.

فنثبت من كتبهم أنفسهم، وبعباراتهم هم ما يبرهن قولنا، فيقول الشيخ الأكبر للصوفية رادًا على الغزالي: (إن الغزالي غلط في التفريق بين نزول الملك على النبي والوليّ، مع أن النبي والوليّ كلاهما ينزل عليه الملك.) [٣٩]

وقد ذكر الشعراني أيضا بقوله: (فإن قلت: قد ذكر الغزالي في بعض كتبه: إن الفرق بين تنزّل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب الأولياء نزول الملك، فإن الوليّ يلهم ولا ينزل عليه ملك قط، والنبي لا بد له في الوحي من نزول الملك به، فهل هذا صحيح؟

---

[٣٨] المواقف الإلهية لابن قضيب البان المتوفى ١٠٤٠هـ (ص١٦٠) ملحق بكتاب ((الإنسان الكامل)) لعبد الرحمن البدوي ط وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.

[٣٩] ((الإبريز)) لعبد العزيز الدباغ (ص١٥١) ط مصر.

فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: أن ذلك غلط... قال الشيخ: وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الوليّ عدم الذوق، وظنهم أنهم قد علموا بسلوكهم جميع المقامات ولما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الإلهام نزل عليهم أنكروه، وقالوا: ذلك خاص بالأنبياء، فذوقهم صحيح وحكمهم باطل، مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة، وأهل الله كلهم ثقات

قال: ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الوليّ لقبلوا ذلك ولم ينكروه.

قال: وقد نزل علينا ملك فلله الحمد.)[٤٠] !!

ولا ندري كيف يرد على الغزالي وهو القائل: (ومن أول الطريق تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد

ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.)[٤١]

هذا ويقول ابن عربي في كتابه (الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذي الحكيم) زيادة على نزول الملك على الوليّ: (وليس الأمر كذلك، فقد رآه الأولياء في حال حديثه لهم، فكل قال ما شاهد... ومشهده صحيح، وهذا كله إذا كان الحديث من الملك والروح.) [٤٢]

يعني أن الوليّ ينزل عليه الملك ويحدثه ويشاهده الوليّ ويراه وقت نزوله عليه، وكلامه به.

وبمثل ذلك يقول صوفي قديم آخر نجم الدين الكبري المتوفى ٦١٨ هـ أن الملائكة تنزل على الصوفية [٤٣].

وبمثل ذلك قال الدباغ، وبعبارة أكثر وضوحا من هذه العبارات: (وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والوليّ من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح، لأن المفتوح عليه سواء كان وليا أو نبيا لا بد له أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، وكل من قال: إن الوليّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه.) [٤٤]

---

(٤٠)((اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر)) للشعراني (٢/ ٨٥) ط مصطفى البابي الحلبي القاهرة.

(٤١) المنقذ من الضلال للغزالي (ص١٢٧) المنشور في مجموعة مؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود ط دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٩ م. أيضا المنقذ من الضلال (ص٥٠) بنجاب الباكستان.

(٤٢) الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط ورقة ب ٢٤٦ المندرج في كتاب ((ختم الأولياء)) للحكيم الترمذي (ص٢٢١) ط المطبعة الكاثوليكية بيروت بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى.

(٤٣) انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري (ص١٠).

(٤٤) الإبريز للدباغ (ص١٥١).

ونقل النفزي الرندي عن بعض المشايخ أنه قال: (إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم عليّ فأسمع تسليمها.) [٤٥]

وليس عامة الملائكة فحسب، بل جبريل أيضا كما ينص على ذلك الشعراني ناقلا عن الشيخ عبد الغفار القوصي أنه قال في كتابه المسمّى بـ (الوحيد): (أنّ الشيخ تاج الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان في حاجة يقول له: اصبر حتى يجيء جبريل.) [٤٦]

وبذلك يقول ابن عربي أن القطب ينزل على قلبه الروح الأمين حيث يذكر في كتابه (مواقع النجوم): (وهذا المقام (أي مقام القطب) وهذه أسراره رفع الحجاب وأشرقت أنواره وبدا هلال التمّ يسطع نوره للناظرين وزال عنه أسراره وتنزل الروح الأمين لقلبه يوم العروبة وأنقضت أوطاره.) [٤٧]

والروح الأمين لا ينزل إلا على الأنبياء والمرسلين!

ومعنى كلامهم أن النبوة لم تختم برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الوحي مازال ينزل عليهم!

وينزل عليه بالأمر والنهي كما نص على ذلك الدباغ بقوله: (ينزل الملك على الوليّ بالأمر والنهي). [٤٨]

(وتصير قلوبهم مهبطا للوحي). [٤٩]

ويسمعون كلام الله (فإذا تحقق الصوفي بهذا الوصف صار وقته سرمدا، وشهوده مؤبدا، وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى). [٥٠]

و (يتلقاهم ملائكة الله مشرقين، يحيونهم بتحايا الملكوت، ويصبون عليهم ماء النبع من ينبوع البهاء... ويقومون في هياكل القربات، يناجون مع أصحاب حجرات العزة ويسمعون صوتا كصوت رعد أو دويّ في الدماغ). [٥١]

ويقول ابن عربي في هذا الخصوص: (اعلم يا بنيّ أن العبد المحقق الصوفي إذا صفا وتحقق صار كعبة لجميع الأسرار الإلهية من كل حضرة وموقف، ويرد عليه في كل يوم جمعة ما دام في ذلك المقام ستمائة ألف سرّ ملكوتي، واحد منها إلهي، وخمسة أسرار ربانية، ليس لها في حضرة الكون مدخل.) [٥٢]

([٤٥]) غيث المواهب العلية للنفزي الرندي (١/ ٢٦٢).
([٤٦]) الأخلاق المتبولية للشعراني بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود (١/ ٤٥٤) ط مطبعة حسان القاهرة.
([٤٧]) مواقع النجوم لابن عربي (ص١٠٢) الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ مطبعة السعادة مصر.
([٤٨]) الإبريز للدباغ (١٥١).
([٤٩]) إبراهيم المتبولي: الأخلاق المتبولية للشعراني (ص١٠٠).
([٥٠]) عوارف المعارف للسهروردي (ص٢٧).
([٥١]) حكمة الإشراق لشهاب الدين السهروردي (ص٢٤٢ – ٢٤٤) نقلا عن ختم الأولياء للترمذي (ص٤٦٦) وما بعد.
([٥٢]) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار لابن عربي (ص١٧١) ط مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.

وقال في الفتوحات (اعلم وفقنا الله وإياك أن الله تعالى من كرامة محمد صلى الله عليه وسلم على ربه أن جعل من أمته رسلًا ثم إنه اختص من الرسل من بعدت نسبته من البشر فكان نصفه بشرا ونصفه الآخر روحًا مطهرة ملكًا لأن جبريل وهبه لمريم بشرا سويا.) [٥٣]

وقوله هذا الذي مهد به اثبات الرسل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهذه عقيدته التي لم ينف فيها نزول الوحي بل كل عبارة فيها تمهد لما سيدعيه من الاتصال بخبر السماء.

ثم عارض ابن عربي النصوص الشرعية التي صرحت بختم النبوة وأولها تأويلات باطلة لإثبات عقيدته!

فعند قوله عليه الصلاة والسلام (لا نبي بعدي) يسارع في تقييده بقوله (إنما ارتفعت نبوة التشريع) [٥٤]

ثم يقول (أي لا شرع خاصة، لا أنه لا يكون بعده نبي) [٥٥]

وكأنه يستدرك على اللفظ النبوي في صورة النفي التي وردت باستعمال نفي النبوة وقد صرح أن هذا الحديث قد أزعج اخوانه الأولياء فقال: (ان حديث لا نبي بعدي قد قصم ظهور الأولياء) [٥٦].

ولكن لماذا يقصم ظهورهم؟ ألا يرضون ما رضيه الله لهم ورسوله؟ ألا يكفيهم ما تركه لهم رسول الله صلى

الله عليه وسلم من الكتاب والسنة؟

بعد هذه النقولات لابن عربي وغيره نجد أنه انتهى إلى أن النبوة مازلت موجودة وأنها لم تختم، ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل شرع في دعوى الاتصال بالله تعالى وأنه كتب كتابه الفصوص (تحت تأثير من الوحي والالهام فأنزل في سطورها ما أنزل به عليه لا ما قضى به منطق العقل) [٥٧] كما ورد نص ذلك في مقدمة الفصوص حيث قال (فما ألقى إلا ما يلقى إليّ ولا أنزل في هذا المسطور إلا ما ينزل به عليّ) [٥٨]

ثم يتدرج ابن عربي حتى يدعي أن الولاية لها خاتم مثل النبوة ويدعي لنفسه أنه أفضل من الأنبياء، حيث تدرج به الحال حتى قال: (إن النبوة ختمت بمحمد عليه الصلاة والسلام، ولكنه ليس خاتم الأولياء)، وادعى أنه خاتم الأولياء، فقال: (إن خاتم الأنبياء

([٥٣]) الفتوحات (٥٨/٤)

([٥٤])المصدر السابق

([٥٥])فصوص الحكم ١٣٤

([٥٦])نفس المصدر السابق

([٥٧])محقق الفصوص أبو العلا عفيفي ص ١٠

([٥٨]) الفصوص ٤٨

محمد وخاتم الأولياء ابن عربي، ولكن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؛ لأن النبي إنما يأخذ وحيه بواسطة الملك جبريل، أما خاتم الأولياء فلا يحتاج إلى واسطة؛ لأنه يأخذه من الله مباشرة، ويقول: إن خاتم الأولياء تابع لخاتم الأنبياء في الظاهر، وخاتم الأنبياء تابع لخاتم الأولياء في الباطن)[٥٩]

وابن عربي هذا يعارض حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بيتاً فأكمله وأحسنه إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون ويقولون: لولا تلك اللبنة! فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين[٦٠]).

يقول ابن عربي في كتابه (فصوص الحكم) وكتاب (الفتوحات المكية)، وكتاب (الهو): إن خاتم الأنبياء رأى هذه الرؤيا، رأى هذا البيت ورأى موضع لبنة، ورأى نفسه تنطبع في هذه اللبنة التي يتم بها الحائط، ولا بد لخاتم الأولياء أن يرى مثل هذه الرؤيا.

ويرى أن الحائط مكون من لبنتين: لبنة ذهب، ولبنة فضة، ويرى نفسه تنطبع مكان لبنة الذهب، وخاتم الأنبياء تنطبع نفسه مكان لبنة الفضة، فيجعل نفسه لبنة الذهب والرسول صلى الله عليه وسلم لبنة الفضة.

ويقول: إن خاتم الأولياء يأخذ عن الله في السر، وفي الظاهر تابع لخاتم الأنبياء.

وهكذا ينتهي ابن عربي في تدرجه هذا إلى الخروج على عقيدة المسلمين في ختم النبوة التي قررها الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وأجمعت الأمة عليها.

ثالثًا: القاديانية:[٦١]

قد طعنوا في عقيدة (ختم النبوة)، وأولوها تأويلات فاسدة، وأخرجوها عن معناها؛ حتى يستقيم لهم أمر دجالهم زعيم الفرقة.

فزعم زعيم هذا الفرقة غلام أحمد أنه يوحى إليه، وأنه يسمع من وحى الله، يقول " من العقيدة الباطلة الواهية أن يظن أحد أن باب الوحى قد انغلق إلى أبد الآباد بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، ولا رجاء فيه ـ أى فى انفتاحه ـ فى المستقبل إلى يوم القيامة، كأنكم أمرتم أن لا تعبدوا إلا القصص والأساطير، فهل من الممكن أن يكون الدين الّذي لا يعرف الله فيه معرفة مباشرة دينًا"[٦٢]

([٥٩]) الفصوص ٦٢

([٦٠])الفصوص ٦٣

([٦١])القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية. انظر كتاب ـ القاديانية، إحسان إلهي ظهير.

([٦٢]) تكملة البراهين الأحمدية ، ج ٥ ، ص ١٨٣، أبو الأعلى المودودى ، ما هى القاديانية ، ص ٣٧

وقال أيضًا: " والّذي أنا أسمع من وحى الله، والله منزه عن الخطأ، وأنا أعرف أنه منزه عن الخطأ كالقرآن.
والله هذا هو إيمانى، والله إن هذا لهو كلام الله، وهو من لسان الله الوحيد الطاهر"[٦٣][٦٤]
وينفى غلام أحمد ختم النبوة فيقول : " إذا قال أحد أن النبوة انتهت فكيف يمكن أن يكون نبى من أتباع محمد، صلىالله عليه وسلم، فالجواب على ذلك هو أن الله عزوجل، إنما سمى هذا العبد [المرزا غلام أحمد] نبيّا؛ لأن كمال نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم، لا يمكن أن يثبت دون كمال أمته، ودون ذلك ليس إلا دعوى بغير دليل"[٦٥].
ويزداد غلو غلام أحمد فى مسألة عدم ختم النبوة ويقول : " إن الزعم القائم أن النبوة انتهت على رسول الله صلى الله عليه وسلم زعم باطل، ولا يعدو كونه لغوا، إن القرآن والأحاديث النبوية تعلن بطلان هذا الزعم، والحقيقة أن فضل وشأن الأمة المحمدية يكمن فى أن يكون فيها أنبياء ورجال يخاطبون الله، ويتكلمون معه، كما يمكن أن يكون فيها الأولياء والشهداء والعلماء؛ لكى تكون هذه الأمة فى الواقع خير أمة"[٦٦].
ويزعم هذا المفترى على الله تعالى أن الله عزوجل يكلمه وأنه سبحانه وتعالى يكشف له كثيرًا من أمور الغيب ؛ ولهذا فهو فى افترائه يدّعى أنه نبى ؛ لأن الله يتكلم معه ويرد عليه فيقول : " إننى أزعم النبوة على أساس أننى شرف بمكالمة الله تعالى، إن الله يتكلم معى بكثرة ويرد على كلامى، ويكشف عليّ كثيرا من أمور الغيب، ويفتح عليّ أبواب المستقبل، وما لم يكن المرء مقربا منه قربا خاصّا لا يكشف عليه الأسرار، ولكثرة هذه الأمور فقد سمانى نبيّا، من هنا إننى نبى بأمر الله وبحكمه، وإذا أنكرت ذلك أكون مذنبًا ومخطئا وعند ما سمانى نبيّا كيف يمكن أن أنكر ذلك، إننى قائم على ذلك إلى أن أترك هذه الدنيا"[٦٧]
ولقد كان جريئًا فى الكذب حين ادعى النبوة وقال: " يؤيد الله كوني مرسلا من قبله، فقد أظهر على يدىّ من الآيات ما لو قسم على ألف نبى لكفت لإثبات نبوتهم، ولكن شياطين الإنس لا يؤمنون"[٦٨]
وقال: " أنا نبى بأمر الله، وإذا أنكرت ذلك أرتكب إثما، وكيف أستطيع أن أرفض ذلك، والله سمانى نبيّا، فأنا على ذلك ما دمت حيّا"[٦٩]

([٦٣]) الدر الثمين، ص ٢٨٢
([٦٤])" ونزول المسيح" ص ٢٨٢، أبو الأعلى المودودى ، ما هى القاديانية ، ص ٣٧
([٦٥])محمود بن المرزا غلام أحمد : حقيقة الوحى ، ص ٢٧٤
([٦٦])مجلة أخبار الفضل ، العدد ٥٠ فى ٢٥ / ١٠ / ١٩٣١ م.
([٦٧])المرزا غلام أحمد : من كتاب موجه إلى أخبار عام لاهور ، فى ٢٣ / ٥ / ١٩٠٨ ، قاديانى مذهب ، ص ١٨٢
([٦٨])المرزا غلام أحمد : تتمة حقيقة الوحى ص ١٤٨
([٦٩])رسالة من غلام أحمد إلى جريدة (أخبار عام) لاهور ، فى ٢٣ آيار ١٩٠٨ م.

ثم أوّل هؤلاء الكذبة آيات القرآن التي تتحدث عن ختم النبوة:
فقال القاديانيون أن معنى قول الله تعالى (ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ) [٧٠].
معنى خاتم النبيين عندهم أى طابعهم، فيزعمون أن كل نبى يظهر الآن بعده، فإن نبوته تكون مطبوعة بخاتمه، صلى الله عليه وسلم.
يقول محمد منظور إلهى القاديانى " المراد بخاتم النبيين أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أى نبى من الأنبياء إلا بخاتمه صلى الله عليه وسلم وكما أن كل قرطاس لا يكون مصدقًا مؤكدًا إلا حين يطبع عليه بالخاتم، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعًا عليها بخاتمه وتصديقه، صلى الله عليه وسلم، تكون غير صحيحة"[٧١][٧٢]
وجاء فى جريدة الفضل القاديانية فى عددها الصادر فى ٢٢ مايو ١٩٢٢ م" الخاتم هو الطابع، فإذا كان النبي، صلى الله عليه وسلم، طابعا، فكيف يكون طابعا إذا لم يكن فى أمته نبى"[٧٣]
ويفسر القاضى القاديانى آية" وخاتم النبيين" بأنه أفضل الأنبياء وأكبرهم درجة ومرتبة، والآية فى زعم القاديانية لا تدل أبدا على انقطاع النبوة، يقول فى القول الصريح: " إن الآية المذكورة لا تدل مطلقا على انقطاع للنبوة، بل تدل على بقائها لأن كمال النبي لا يتحقق إلا بكمال الأمة وفضيلة الأستاذ لا تظهر إلا بفضل التلميذ، وإن أصر أحد على أنه بمعنى الآخر زمانًا فيمكننا أن نجعله مطابقا للمعانى الأخرى بكل سهولة ونقول : إن المراد من النبيين هم المشرعون والمستقلون، والنبي صلىالله عليه وسلم، ختم النبوة التشريعية والمستقلة؛ لأنها موجودة قبله، وأما النبوة الغير مستقلة فما كانت موجودة قبله"[٧٤]
ويقول ميرزا غلام أحمد: " نعنى بختم النبوة ختم كمالاتها على نبينا الّذي هو أفضل رسل الله وأنبيائه، ونعتقد أنه لا نبى بعده إلا الّذي من أمته ومن أكمل أتباعه الّذي وجد الفيض كله من روحانيته وأضاء بضيائه"[٧٥]
ويقول أيضا فى تفسير" وخاتم النبيين": " إن الله جعل رسول الله خاتم النبيين بمعنى أنه أعطاه خاتم إفاضة الكمال مما لم يعطه أحدا سواه، فلأجل ذلك سمى بخاتم النبيين، أى أن

---
(٧٠) الأحزاب: ٤٠.
(٧١) ملفوظات أحمدية (ص ٢٩٠):
(٧٢) أبو الأعلى المودودى: ما هى القاديانية، ص ٧١.
(٧٣) المرجع السابق، ص ٧١.
(٧٤) نذير السيالكوتى القاديانى: القول الصريح، ص ١٧٥ ـ ١٧٧
(٧٥) المرجع السابق، ص ١٧٤

اتّباعه يورث كمالات النبوة، وأن القوة القدسية التى تصنع الأنبياء لم يعطها نبى سواه"(٧٦)

ونقل الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى كتابه" ما هى القاديانية" نصوصًا عديدة ذكرها المرزا غلام أحمد وجماعته توضح تأويلاتهم المختلفة لختم النبوة منها (٧٧):

التأويل الأول: " فإن كان الله كرّم أحدا من هذه الأمة وسماه بالنبى إذا نال درجة الوحي والإلهام والنبوة بمجرد اتّباع محمد، صلى الله عليه وسلم، فإن خاتم النبوة أى طابعها لا ينقض بذلك؛ لأنه لا يزال من أفراد الأمة الإسلامية، ولكن مما ينافي ختم النبوة أن يأتى نبى من غير الأمة الإسلامية"

ويقول المرزا غلام أحمد: " إن محمدا، صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء بمفهوم أنه قد تمت عليه كمالات النبوة، وأنه لا يأتى بعده رسول ذو شريعة جديدة، ولا نبى من غير أمته".

التأويل الثانى: قال غلام أحمد فى حقيقة الوحي: " قد جعل الله جل شأنه محمدا، صلى الله عليه وسلم، الخاتم أى أعطاه الخاتم لإفاضة الكمال، وذلك لم يؤته أحد غيره، ولذلك سمى بخاتم النبيين، أى أن اطاعته تمنح كمالات النبوة، وأن التقائه الروحى يصنع الأنبياء.

التأويل الثالث: قال غلام أحمد فى إرشاده المندرج فى عدد جريدة الحكم الصادر فى ١٧ أبريل من عام ١٩٠٣ م : " ومن حكمة الله ولطفه بالأمة المحمدية أن رفع عنها هذه الكلمة ـ النبوة ـ ثلاثة عشر قرنا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لتتم عظمة نبوته، ثم لما كانت عظمة الإسلام تقتضى أن يكون فى الأمة أفراد تطلق عليهم كلمة النبي بعده، صلى الله عليه وسلم، لتتم المشابهة بالسلسلة القديمة ـ أى سلسلة الأنبياء الموسويين ـ أجريت على لسانه، صلى الله عليه وسلم ، كلمة" النبي" للمسيح الموعود فى آخر الزمان".

التأويل الرابع: يقول غلام أحمد فى إزالة الخطأ : " أنا محمد، صلى الله عليه وسلم بصفة ظلية، فلأجل هذا ما انفض هذا الخاتم ـ خاتم النبيين ـ لأن نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم ، بقيت على حالها منحصرة فى محمد وحده، أى أن محمدا وحده هو النبي إلى الآن، وإذا كنت أنا محمدا بصفة تجسدية فأى رجل غيره يكون قد ادعى النبوة بصفة مستقلة؟ ".

وهذه تأويلات باطلة فاسدة لختم النبوة ، وقد وضع القاديانيون أدلة من القرآن والسنة على أن الوحى والنبوة مستمران لا ينقطعان أبدا، وأوّلوا النصوص حسب هواهم وهذا ما سنبينه الآن.

أدلتهم على أن الوحى والنبوة مستمران لا ينقطعان أبدا :

---

(٧٦) ميرزا غلام أحمد: حقيقة الوحي، ص ٩٧

(٧٧) أبو الأعلى المودودى: ما هى القاديانية، ص ٣٣، ٣٥

أدلتهم من القرآن الكريم :
يقول تعالى : **(وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً)** [الشورى : ٥١].
يقول القاضى القاديانى فى كتابه القول الصريح : " إن الله سبحانه وتعالى يوحى إلى غير الأنبياء بالطرق التى يوحى بها إلى الأنبياء لأن الله لم يقل وما كان لنبى بل قال ما كان لبشر سواء كان نبيّا أو غير نبى"[٧٨].
والحقيقة أنه ليس فى هذه الآية أى دليل على وحى أو نبوة بعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما قال ابن كثير فى تفسيره : " هذه الآية فى ذكر مقامات الوحى بالنسبة إلى جانب الله عزوجل"[٧٩]
فلا وحى ولا نبوة بعد محمد ، صلى الله عليه وسلم.
وهكذا يزعم القاضى القاديانى أن باب النبوة لا زال مفتوحا أمام البشر ويذكر أن الله تعالى يقول : **(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً)** [٣].
ويفسر الآية ـ كما أشرنا من قبل ـ بأن معناها" أن الّذي يطيع الله ومحمدا صلى الله عليه وسلم ، فعلى قدر إطاعته يكون من الصالحين أو الشهداء أو الصديقين أو النبيين ، فهى تصريح جليّ أن النبوة باقية فى الأمة المحمدية"[٨٠]
وطبعى أنه ليس فى الآية دليل قط على استمرار النبوة بعد رسول الله ، صلىاللهعليهوسلم ، وإنما مقصود الآية كما ذكر ابن كثير : " إن من عمل بما أمره الله به ورسوله ، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فإن الله عزوجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقا لمن ذكر فى الآية" [٨١] فالآية لا تدل أبدا على أن النبوة مستمرة كما ادعى القاديانيون.
ويقول أيضا : " إن الله تعالى يقول فى كتابه العزيز : **(رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ)**[٨٢]
يقول المراد من الروح فى الآية الوحى أو روح القدس، والآية تصرح بأن النبوة باقية ؛ لأن صيغة يلقى تدل على الاستمرار، فكما أن الله تعالى أخبر بنزول الملائكة فى المستقبل كذلك أخبرنا بالإنذار، والإنذار من صفة الرسل"[٨٣]

---

(٧٨)نذير السيالكوتى القاديانى : القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح ، ص ١٦٦
(٧٩)ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٤ / ١٢١
(٨٠)نذير السيالكوتى القاديانى : القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح ، ص ١٩٧
(٨١)ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٥٢٢
(٨٢)سورة غافر : ١٥.
(٨٣) نذير السيالكوتى القاديانى: القول الصريح فى ظهور المهدى والمسيح ١٩٨

وهذا فهم خاطئ وتأويل باطل للآية، فالآية تبين لنا بوضوح تام أن الله تعالى يختص من يشاء ليكونوا أنبياء ورسلا يبلغون رسالة الله فى الأرض، وقد ختم الله تعالى الرسالات بمحمد صلى الله عليه وسلم.

الأدلة من السنة على استمرار النبوة فى زعم القاديانيين :

عن ابن عباس ، رضى الله عنه : " لما توفى إبراهيم ابن الرسول قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، لو عاش لكان صديقا نبيّا"[٨٤] يقول القاديانيون : إن هذا الحديث فيه دلالة واضحة على أن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ليس خاتم الأنبياء.

المبحث الثاني: معارضة ابن تيمية لأدلة المخالفين في ختم النبوة.

تمهيد:

أجمع المسلمون على ختم النبوة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ولم يشذ إلا هؤلاء الزنادقة الذين خالفوا هذه العقيدة الراسخة الثابتة.

وقد دل على هذه العقيدة القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الأمة عبر قرون الإسلام العظيم.

([٨٤]) رواه ابن ماجة في " السنن " (١٥١١) من طريق داود بن شبيب الباهلي، قال: حدثنا إبراهيم بن عثمان، قال: حدثنا الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس به.

وهذا إسناد ضعيف جدا فيه علتان:

العلة الأولى: إبراهيم بن عثمان، أبو شيبة الكوفي، اتفق النقاد على ضعفه، فضعفه أحمد وابن معين، بل قال فيه ابن المبارك: ارم به، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك الحديث. ينظر: " تهذيب التهذيب " ١/١٤٥"

العلة الثانية: الانقطاع، فقد قالوا في ترجمة إبراهيم بن عثمان إنه لم يسمع من الحكم سوى حديث واحد، ولم يذكروا هذا الحديث، وقالوا في ترجمة الحكم بن عتيبة إنه لم يسمع من مقسم سوى خمسة أحاديث، ليس هذا منها، فضلا عما اشتهر به من التدليس. ينظر: " تهذيب التهذيب " ٢/٤٣٤(ولذلك ضعف الحديث ابن عدي في " الكامل " (٨/٥٠٧)، وابن حجر في " الإصابة " (١/٩٤)، وابن كثير في " البداية والنهاية " (٨/٢٤٨) طبعة دار هجر، والسخاوي في " المقاصد الحسنة " (ص/٤٠٦)

وقال الشيخ الألباني رحمه الله :هذا إسناد ضعيف جداً؛ إبراهيم هذا متروك الحديث، وتابعه بقية عن الحكم به، أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن يونس: أنبأنا سعد ابن أوس أبو زيد الأنصاري: أنبأنا بقية عنه. و (بقية) مدلس وقد عنعنه، فمن المحتمل أن يكون تلقاه عن إبراهيم هذا أو غيره من المتهمين ثم دلسه!

ثم إن في الطريق إليه محمد بن يونس -وهو الكديمي – وضَّاع " انتهى من " السلسلة الضعيفة " (رقم/٣٢٠٢)، وانظر :(رقم/٢٢٠) وللحديث شاهد يرويه ابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٣/١٣٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعا: (لو عاش إبراهيم لكان نبيا)، ولكنه ضعيف جدا أيضا، فيه ثابت بن أبي صفية، أبو حمزة الثمالي، قال فيه الإمام أحمد: ضعيف، ليس بشيء، وقال أبو حاتم وأبو زرعة: لين الحديث. وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن عدي: وضعفه بيِّنٌ على رواياته، وهو إلى الضعف أقرب، وقال ابن حبان: كان كثير الوهم في الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد، مع غلوه في تشيعه. ينظر: " تهذيب التهذيب " (٢/٧-٨)

أولا : ختم النبوة فى القرآن الكريم :
لقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة وهذا الأصل قال تعالى :(**مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ**) [٨٥]
وعلى قراءة : خاتم بكسر التاء فهذا وصف له، صلى الله عليه وسلم، بأنه ختم الأنبياء، وأنه ليس بعده نبى، وكذا بفتح التاء، فإن كلا منهما يستعمل بمعنى الآخر.
ويؤكد هذا المعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحيح البخارى، فعن أبى هريرة، رضى الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال : " إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، قال : فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين".
وهذا الأمر أجمع عليه أهل الإسلام، قال الإمام ابن عطية فى تفسير قوله تعالى : (**وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ**) هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متعلقة على العموم التام، مقتضية نصّا : أن لا نبى بعده، صلى الله عليه وسلم".
إن القرآن الكريم والسنة المطهرة يبينان للخلق جميعًا أن الرسول صلىالله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين يقول ابن كثير : " أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه أن لا نبى بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل"[٨٦]
لقد انقطع وحى السماء إلى الأرض بختم نبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى : (**مَا كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ**)[٨٧]
أى آخرهم ، فخاتم كل شيء أى عاقبته وآخره.
قال ابن حيان فى تفسيره البحر المحيط : " قرأ الجمهور وخاتم النبيين بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أى جاء آخرهم"[٨٨]
وقال القاسمى فى تفسيره محاسن التأويل: " تمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين، وظهر مصداق ذلك بخيبة من ادّعى النبوة بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"[٨٩]
ويقول ابن الجوزى : " ومن قرأ" خاتم" بكسر التاء فمعناه وختم النبيين ، ومن فتحها فالمعنى آخر النبيين"[٩٠]

---

[٨٥] [الأحزاب: ٤٠].
[٨٦] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٤٩٣
[٨٧] سورة الأحزاب : ٤٠
[٨٨] أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان : البحر المحيط ، ٧ / ٢٣٦
[٨٩] محمد جمال الدين القاسمى : محاسن التأويل ، ٦ / ٤٨٦
[٩٠] ابن الجوزى : زاد المسير ، ٦ / ٩٣

ويقول العلامة ابن كثير : " فهذه الآية نص فى أنه لا نبى بعده، وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبى ولا ينعكس"[٩١]

ولأن الله سبحانه وتعالى جعل نبيه محمدا ، صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والرسل أجمعين فقد جعل رسالته عامة للبشر جميعًا يقول تعالى : (**قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**)[٩٢]

يقول الإمام الطبرى فى تفسيره : " قل يا محمد للناس كلهم إنى رسول الله إليكم جميعا لا إلى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلى من الرسل مرسلا إلى بعض الناس دون بعض"[٩٣]

وتأكيدا لهذا المعنى فقد امتلأ كتاب الله تعالى بآيات كثيرة تبين للناس أن صاحب الرسالة الخاتمة ، صلى الله عليه وسلم، رسالته عامة للبشر جميعا يقول تعالى : (**وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**)[٩٤]

وقال تعالى : (**وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**)[٩٥]وقال تعالى : (**قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**)[٩٦]ولأن الله سبحانه وتعالى جعل الإسلام الدين الخاتم، ورسوله الرسول الخاتم ؛ لذا فقد كمل الدين بالنبوة الخاتمة التى لا نبوة بعدها ، يقول تعالى : (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً**)[٩٧]

وأخرج الإمام الطبرى عن ابن عباس ، رضى الله عنه ، أنه قال : (**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**)، وهو الإسلام. قال : أخبر الله نبيه، صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه الله عزوجل فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا"[٩٨]

ولأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة الخاتمة ؛ ولأن دينه خاتم الأديان ؛ لذا كانت معجزته عقلية خالدة، باقية ما بقى الزمان، فقد كانت الرسالات السابقة على الإسلام معجزاتها حسية لا تتجاوز فترة حياة النبي صاحب المعجزة أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم فهى باقية؛ لأنها تخاطب العقل فى كل زمان ومكان.

([٩١])ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٤٩٣
([٩٢])سورة الأعراف : من ١٥٨
([٩٣]) أبو جعفر الطبرى: التفسير، ٩ / ٨٦
([٩٤]) سورة سبأ: ٢٨
([٩٥]) سورة الأنبياء: ١٠٧
([٩٦]) سورة الأعراف: من ١٥٨
([٩٧]) سورة المائدة : ٣
([٩٨]) أبو جعفر الطبرى : التفسير ، ٩ / ٥١٨

ولقد تحدى القرآن الكريم أن يأتى العرب وغير العرب بمثل سورة منه فعجزوا عن ذلك منذ نزل القرآن الكريم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يقول تعالى فى عظمة وقوة : (**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**)[٩٩]

ويقول الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد: "فهذا القضاء الحاتم منه –تعالى - بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بشيء من مثل ما تحداهم به ليس قضاء بشرياً، ومن الصعب بل ومن المتعذر أن يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه، وشرط كالذي شرطه على نفسه، لغلبة الظن عند من له شيء من العقل أن الأرض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته، وإنما ذلك هو الله المتكلم، والعليم الخبير، و الناطق على لسانه، صلى الله عليه وسلم، وقد أحاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضم له وبلوغ ما حثهم عليه[١٠٠]

والحقيقة كما يقول عفيف طبارة: "إن معجزات الرسل السابقين الدالة على صدق نبوتهم هي وقائع تنقضي، يراها الذين عاصروا الأنبياء فيؤمنون حث الإيمان بمن جاءت على يدهم ولا يراها الذين يأتون من بعدهم، بل تصل إليهم أخبارها فيضعف تأثيرها على الأمم التابعة..والآن بعد أن ترقى العقل وكثرت المعارف ودخلت الشبهات على الأديان ضعف تأثير هذه المعجزات على أتباع الأديان، أو بالأحرى ضعف الإيمان وسرى الإلحاد، فكان الدين بحاجة إلى دلائل وبراهين على صحته غير البراهين السالفة[١٠١].

لقد كان القرآن الكريم معجزة محمد، صلى الله عليه وسلم، ومعجزة الدين الخاتم والرسالة الخاتمة(**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**)[١٠٢]

ثانيًا: ختم النبوة في السنة المطهرة بين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سنته المتواترة أنه لا نبي بعده، ففي حديث طويل قال: (وإنه سيكون في أمتي كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.)[١٠٣] وعن ابن عباس، رضي الله عنه، في حديث الشفاعة يوم القيامة، وهو حديث طويل، وفيه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذكر طلب الناس الشفاعة من الأنبياء واحداً تلو الآخر ليشفعوا إلى الله –عز وجل – في الحساب بين الناس لطول وقوفهم دون حساب (حتى يصل الناس إلى عيسى –عليه السلام

([٩٩])سورة الأسراء : ٨٨

([١٠٠])محمد عبده: ((رسالة التوحيد)) ، (ص١٧٠) نقلاً عن ((روح الدين الإسلامي)) لطبارة، (ص٢٧)
.

([١٠١])عفيف طبارة: ((روح الدين الإسلامي)) (ص٢٩) .

([١٠٢])الأحزاب: ٤٠

([١٠٣]) رواه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) وأحمد (٢٧٨/٥) (٢٢٤٤٨) من حديث ثوبان. سكت عنه أبو داود ، وقد قال في ((رسالته لأهل مكة)) كل ما سكت عنه فهو صالح. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (١٤٢/١) : محفوظ من غير وجه. وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

- فيقول لهم: أرأيتم لو كان متاع في وعاء قد ختم عليه، أكان يقدر على ما في الوعاء حتى يفض الخاتم؟ فيقولون: لا. فيقول: إن محمداً، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين.) [١٠٤]

والأحاديث في ختم النبوة صحيحة منها حديث أبي هريرة: (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبوة.) [١٠٥]
ومنها حديث عبد الله بن عمرو حيث قال:(خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوماً كالمودع فقال: "أنا محمد النبي الأمي –ثلاثاً -ولا نبي بعدي.) [١٠٦]
وقد بين رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن النبوة انقطعت بنبوته الخاتمة الخاتمة، وأنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤية الصالحة، فعن ابن عباس، رضي الله عنه، قال:(كشف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الستار والناس صفوف خلف أبي بكر، رضي الله عنه، فقال: "أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له.) [١٠٧]
وعن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال:(أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر.)[١٠٨]
وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون.) [١٠٩]
وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال:(إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون: هلا وضعت اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.)[١١٠]

---

(١٠٤) رواه أحمد (٢٩٥/١) (٢٦٩٢) قال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (٢٤١/٤) : إسناده صحيح.
(١٠٥) رواه مسلم (٥٢٣) وفيه النبيون بدل النبوة.
(١٠٦)(([٤٨٣٣]رواه أحمد (١٧٢/٢) (٦٦٠٦) وابن مردويه كما في ((الدر المنثور)) (٥٧٤/٣) . قال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١٠٧/١٠) : إسناده حسن . وقال الألباني في ((إرواء الغليل)) (١٢٨/٨) : إسناده ضعيف.
(١٠٧) رواه مسلم (٤٧٩) .
(١٠٨) رواه الدارمي (٤٩) والطبراني في ((الأوسط)) (١٧٠) . قال الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) (٢٢٣/١٠) : إسناده صالح. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٢٥٧/٨) : فيه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات . وقال الوادعي في ((الشفاعة)) (ص ٤٨) : فيه صالح بن عطاء مجهول.
(١٠٩) رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة.
(١١٠) رواه البخاري (٣٥٣٥) ومسلم (٢٢٨٦) .

وقد حذرنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من أدعياء النبوة من بعده، فعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول:(إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم.)[١١١]

وعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:(لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً رجالاً كلهم يكذب على الله عز وجل ورسوله، صلى الله عليه وسلم.)[١١٢]

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يُمحى بي الكُفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب – والعاقب الذي ليس بعده نبي.)[١١٣]

وجملة العاقب الذي ليس بعده نبي "قيل: إنها من كلام النبي، صلى الله عليه وسلم. وقيل: إنها من كلام الصحابي الراوي.

وقيل: إنها من كلام الزهري. ومن الأحاديث الشريفة التي تبين أن محمدا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو الرسول الخاتم، يقول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون.)[١١٤]

وعن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ((خرج علينا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يوماً كالمودع فقال: أنا محمد النبي الأمي -ثلاثاً-ولا نبي بعدي.)[١١٥]

وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم:(إن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته من الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة.)[١١٦] وقال رسول الله،

---

(١١١) رواه مسلم (١٨٢٢) .

(١١٢) رواه أبو داود (٤٣٣٤) وأحمد (٢/٤٥٠) (٩٨١٧) من حديث أبي هريرة. سكت عنه أبو داود ، وقد قال في ((رسالته لأهل مكة)) كل ما سكت عنه فهو صالح. وقال الألباني : حسن الإسناد، وقال شعيب: صحيح وهذا إسناد حسن

(١١٣) رواه البخاري (٣٥٣٢) ومسلم (٢٣٥٤) واللفظ لمسلم.

(١١٤) رواه مسلم (٥٢٣) .

(١١٥)(([٤٨٤٢]رواه أحمد (٢/١٧٢) (٦٦٠٦) وابن مردويه كما في ((الدر المنثور)) (٣/٥٧٤) . قال أحمد شاكر في ((مسند أحمد)) (١٠/١٠٧) : إسناده حسن . وقال الألباني في ((إرواء الغليل)) ٨/١٢٨: إسناده ضعيف.

(١١٦) رواه ابن ماجة (٤٠٧٧) والطبراني (٨/١٤٦) (٧٦٤٤) والحاكم (٤/٥٨٠) قال ابن كثير في ((تفسير القرآن)) (٢/٤١١) : غريب جدا من هذا الوجه. وقال الألباني في ((ضعيف ابن ماجه)) (٨١٤) : ضعيف. وصححه في ((صحيح الجامع)) (٧٨٧٥) .

صلى الله عليه وسلم:(لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي.)[١١٧] وعن ثوبان قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (.. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي.)[١١٨]

إن هذه النصوص وغيرها تبين لكل ذي عينين وعقل صريح وقلب سليم، أنه لا نبي بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأن سلسلة الأنبياء قد انتهت به، وأن كل من ادعى النبوة في حياته أو بعد مماته إنما هو كذاب ضال مضل.

فهذه النصوص النبوية تجزم بما لا يدع مجالاً للشك أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو النبي الخاتم، وقد انقطع الوحي بوفاته، صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ أي (لا نبي بعدي)[١١٩]

ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبداً، وإنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص، فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع"[١٢٠]

وقال الزمخشري: "فإن قلت كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده، وعيسى مما نبئ قبله، وحين ينزل، ينزل عاملاً على شريعة محمد مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته"[١٢١]

وقال البيضاوي في تفسيره: "محمد، صلى الله عليه وسلم، آخر أنبياء الذي ختمهم أو ختموا به، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده، لأنه إذا نزل كان على دينه"[١٢٢]

وإن المسلم يجب أن يكون معتقداً اعتقاداً جازماً بأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هو خاتم الأنبياء، وإن عدم الإيمان بختم النبوة بمحمد، صلى الله عليه وسلم، فهذا جزم بأن صاحب هذا الاعتقاد كافر وليس بمسلم على الإطلاق، فالإيمان بختم النبوة من المسلمات ومن الأمور المعروفة في الدين بالضرورة، وقد ادعى رجل في عصر الإمام الأعظم أبي حنيفة النبوة وقال أنه عنده دليل على صحة نبوته فقال الإمام الأعظم رضي

---

(١١٧) رواه الطبراني٣٠٢/٨ (٨١٤٦) ، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٣٧/٧) ، قال البيهقي: في إسناده ضعف . وقال ابن العربي في ((عارضة الأحوذي)) (١٣٢/٥) : إسناده مظلم. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٨٦/٧) : فيه سليمان بن عطاء القرشي وهو ضعيف .

(١١٨) رواه أبو داود (٤٢٥٢) والترمذي (٢٢١٩) وأحمد (٢٧٨/٥) (٢٢٤٤٨) من حديث ثوبان. سكت عنه أبو داود (وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح). وقال ابن تيمية في ((اقتضاء الصراط المستقيم)) (١٤٢/١) : محفوظ من غير وجه. وصححه الألباني في ((صحيح أبي داود)) .

(١١٩) رواه البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) .

(١٢٠)الغزالي: ((الاقتصاد في الاعتقاد)) .

(١٢١)ابن كثير: ((تفسير القرآن العظيم)) (٤٩٣/٣) .

(١٢٢)البيضاوي: ((أنوار التنزيل)) (١٦٤/٤) .

الله عنه: من طلب منه الدليل فقد كفر، لأن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال في الحديث الصحيح: (لا نبي بعدي)[١٢٣].

ثالثًا: إجماع الصحابة

ولقد أجمع الصحابة، رضوان الله عليهم، بعد وفاة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على أنه النبي الخاتم بدليل أنهم أنفسهم الذين نقلوا إلينا أحاديث ختم النبوة بمحمد، صلى الله عليه وسلم، وهم الذين أجمعوا على قتال المتنبئين بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن أبي أوفى، رضي الله عنه، لما سئل عن إبراهيم ابن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال:(مات صغيراً ولو قضى أن يكون بعد محمد، صلى الله عليه وسلم، نبي عاش ابنه، ولكن لا نبي بعده) [١٢٤]

ويقول القاضي عياض: "أخبر، صلى الله عليه وسلم، أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل وتخصيص"[١٢٥]
ويقول الآلوسي في تفسيره روح المعاني: "وكونه، صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصر" [١٢٦]

معارضة شيخ الإسلام لمن ادعى عدم ختم النبوة:

قال شيخ الإسلام في معرض حديثه عن شروط الايمان بالله عزوجل:" فلا بد في الإيمان من أن تؤمن أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لا نبي بعده، وأن الله أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن فضلًا عن أن يكون من أولياء الله المتقين، ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر ليس بمؤمن كما قال الله تعالى :{إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا} {أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا} {والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا}
ومن الإيمان به الإيمان بأنه الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه.
ووعده ووعيده وحلاله وحرامه ؛ فالحلال ما أحله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمن اعتقد أن لأحد من

([١٢٣]) رواه البخاري (٣٤٥٥) ، ومسلم (١٨٤٢) .
([١٢٤]) رواه البخاري (٦١٩٤) .
([١٢٥]) القاضي عياض: ((الشفاء)) (٢٧١/٢) .
([١٢٦]) الآلوسي: ((روح المعاني)) ، (٣٢/٢٢) وما بعدها.

الأولياء طريقا إلى الله من غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر من أولياء الشيطان.) [١٢٧]

فذكر الشيخ أن من شروط الإيمان أن تؤمن أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ولا نبي بعد مطلقًا.

ومن قال بخلاف ذلك فقد كفر لأنه كذب بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ختم النبوة وبقاء الدين

وقال الشيخ رحمه الله في موضع آخر:(ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافرًا، كما قال تعالى: {إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا -أولئك هم الكافرون حقًا وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا -والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيمًا} [١٢٨]

فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ولم يكن بعده رسول، ولا من يجدد الدين لم يزل الله سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضيا لظهوره، كما وعد به في الكتاب، فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده، ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده.) [١٢٩]

وقال رحمه الله: (وذلك أن الله تبارك وتعالى أكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وبينه، وبلغه البلاغ المبين، فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئًا من دينه، وإنما تحتاج إلى معرفة دينه الذي بعث به فقط، وأمته لا تجتمع على ضلالة، بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق، حتى تقوم الساعة، فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فأظهره بالحجة والبيان، وأظهره باليد والسنان، ولا يزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة.) [١٣٠]

ما بعث الله به نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم -من الكتاب والحكمة يجمع مصالح العباد في المعاش والمعاد على أكمل وجه؛ فإنه -صلى الله عليه وسلم -خاتم النبيين، ولا نبي بعده، وقد جمع الله في شريعته ما فرقه في شرائع من قبله من الكمال؛ إذ ليس بعده نبي، فكمل به الأمر، كما كمل به الدين.

---

(١٢٧) مجموع الفتاوى (١٧١/١١)

(١٢٨)[النساء: ١٥٠ -١٥٢].

(١٢٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٨٣-٨٤)

(١٣٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٣٦٢)

فكتابه أفضل الكتب، وشرعه أفضل الشرائع، ومنهاجه أفضل المناهج، وأمته خير الأمم، وقد عصمها الله على لسانه فلا تجتمع على ضلالة؛ ولكن يكون عند بعضها من العلم والفهم ما ليس عند بعض، والعلماء ورثة الأنبياء. [١٣١]

ثم بين الشيخ رحمه الله في كتبه الاعتقاد الذي ينجي صاحبه فقال: (ومن ذلك الإيمان بأنه خاتم النبيين وأنه لا نبي بعده، فمتى جعل لغيره نصيبًا من خصائص الرسالة والنبوة كان في ذلك نصيب من الإيمان بنبي بعده ورسول بعده كالمؤمنين بنبوة مسيلمة والعنسي وغيرهما من المتنبئين الكذابين كما قال صلى الله عليه وسلم إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالين كذابين كلهم يزعم أنه رسول الله.)[١٣٢]

ثم أشار رحمه الله إلى حديث العرباض بن سارية فقال: (ولذلك جاء هذا المعنى مفسرا في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إني عبد الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام}

هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب.

حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض رواه البغوي في شرح السنة هكذا ورواه الليث بن سعد عنه نحوه ورواه الإمام أحمد في المسند عن ابن مهدي: حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد عن العرباض قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {إني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين}.

وقوله {لمنجدل في طينته} أي ملتف ومطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد. وقد روي {أن الله كتب اسمه على العرش وعلى ما في الجنة من الأبواب والقباب والأوراق} وروي في ذلك عدة آثار توافق هذه الأحاديث الثابتة التي تبين التنويه باسمه وإعلاء ذكره حينئذ.)[١٣٣]

ثم بين الشيخ حكم من ادعى النبوة

فقال رحمه الله: (ومن ادعى النبوة وهو كاذب، فهو من أكفر الكفار، وأظلم الظالمين، وشر خلق الله تعالى، قال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ

---

(١٣١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٢٧٤)

(١٣٢) جامع الرسائل لابن تيمية -رشاد سالم (١/ ٢٧٣)

(١٣٣) مجموع الفتاوى (٢/ ١٤٩-١٥٠)

عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [١٣٤] وقال تعالى: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ) [١٣٥][١٣٦]

أولًا: معارضة شيخ الإسلام للروافض الذين قالوا بنبوة علي أو الأئمة:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (مبتدعة العباد الغلو فيهم وفي الرافضة، ولهذا يوجد في هذين الصنفين كثير ممن يدعي إما لنفسه وإما لشيخه الإلهية، كما يدعيه كثير من الإسماعيلية [١٣٧] لأئمتهم بني عبيد، وكما يدعيه كثير من الغالية: إما للاثنى عشر [١٣٨]، وإما لغيرهم من أهل البيت ومن غير أهل البيت، كما تدعيه النصيرية [١٣٩] وغيرهم[١٤٠].)

فالروافض وصل بهم الغلو حتى ادعوا النبوة لأئمتهم كما ذكرت في المبحث الأول من خلال أقوالهم.

وقد عارض شيخ الإسلام عقائد الرافضة قائلًا: (إن الرافضة في الأصل ليسوا أهل علم وخبرة بطريق النظر والمناظرة ومعرفة الأدلة وما يدخل فيها من المنع والمعارضة، كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات والأحاديث والآثار والتمييز بين صحيحها وضعيفها.)[١٤١]

وذلك لأنهم اكتفوا بدعوى الإلهام والتلقي المباشر من الله عزوجل فكانت النتيجة اختلاف اخبارهم وتناقض أحكامهم.

---

(١٣٤)[الأنعام:١٤٤].

(١٣٥)[الزمر:٦٠]

(١٣٦) الجواب الصحيح (١/ ٣٠)، و (٤/ ٢٧٢) بتصرف.

(١٣٧) الإسماعيلية فرقة باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفِّرون أعضاءَهَا. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام -الدرر السنية (٩/ ٤٩)

(١٣٨) هم الرافضة: والرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك. يقال: رفض يرفض رفضاً، أي ترك. وعرفهم أهل اللغة بقولهم: والروافض كل جند تركوا قائدهم هذا هو معنى الرفض في اللغة. وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام -الدرر السنية (٥/ ٢١٠)

(١٣٩) النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية. موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام -الدرر السنية (٩/ ٢٤٨)

(١٤٠)منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٣٤-٣٣٥)

(١٤١) منهاج السنة (١٣/١)

ولابد هنا من وقفة قصيرة لمناقشة أقوالهم وبيان بطلانها وضلالها:
١-إنها مجرد دعاوى مجردة من الأدلة النقلية من الكتاب والسنة ومن الأدلة العقلية، بل إن تلك الأدلة -التي ذكرتها في اثبات ختم النبوة-تعارضها وتبطلها.
وكل دعوى بهذه الطريقة فهي دعوى باطلة مرفوضة من الأساس.
٢-أن أدلتهم التي ذكروها هي عبارة عن أثار واردة في ادعاء الوحي وهذه الأثار عبارة عن كلام اسندته الشيعة إلى أئمتهم وهذا لا يخلو من احتمالين:
الأول: أنه ثابت عنهم كما نقله الرواة-وهذا ما نستبعده لجلالة الأئمة المسند إليهم-ولو حتى على سبيل الفرض قلنا بصحته فهو كلام مجرد من دليله ولا يلزم أحدًا التصديق به.
إذ الالزام إنما يكون بالكتاب والسنة الصحيحة وما اعتمد عليهما من اجماع ونحوه، وهذه كلها مؤكدة لانقطاع الوحي.
الثاني: وإما أن يكون ذلك لم يثبت عنهم –وهو الراجح-ويؤكد هذا ضعف الاسانيد وجهالتها التي قامت عليها مصادرهم ورواياتهم تلك إلى أئمتهم.
فالآثار التي سبق اثباتها في المبحث السابق كلها مطعون فيها من علماء الشيعة أنفسهم [١٤٢].

وقل إن تجد في كتابهم هذا الذي رأينا مكانته عندهم أثرًا لم يطعن في سنده مما يفقد معه الكتاب مكانته العلمية التي تؤهله لاثبات أصل من أصول الشريعة بل ولا فروعها.
وأضرب مثالًا هنا لاثبات ما أقرره من هذا الكتاب وهو كتاب (التوحيد) لنرى مكانة الأثار التي رويت فيه كما يذكر ذلك شارح أصول الكافي الشيعي:
الباب الأول فيه (باب حدوث العالم واثبات المحدث) فيه سبعة أثار واليك درجتها الاسنادية:
الأول والخامس والسادس والسابع قال الشارح في كل واحد منها (مجهول اسناده) من ص ٣ إلى ٣٥ /ج٣
والثاني والثالث والرابع قال في كل واحد منها (ضعيف اسناده) من ١٠-٢٠، هذا الكتاب -كتاب التوحيد-أهم كتاب في العقيدة الإسلامية ليس فيه أثر صحيح ولا حسن فكيف يا ترى يكون بقية الكتاب؟
هذه النظرة الموجزة تبين لنا أن الأثار المنسوبة لأئمتهم غير موثوق فيها.
٣-أن من لوزام دعوى النبوة أن يؤيد صاحبها بمعجزة تكون حجة له على دعواه هذه-وقد ادعوا ذلك للأئمة كما بينت سابقًا-ولكن لم يسجل لنا التاريخ شيئًا من ذلك اذ لو وقع شيء من ذلك لاشتهر وتناقله المؤرخون ولكن ذلك لم يقع ولن يقع لأن الوحي قد انقطع والمعجزات لازمة له.

(١٤٢) بالنظر الى حواشي كتاب الكافي التي نقلت منها الاثار تجد ذلك واضحا

٤-إن استمرار نزول الوحي على الأئمة ليس ضروريًا اذ الكتاب والسنة فيهما ما يكفي لقيادة الناس إلى الحياة الكريمة كما قال تعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [١٤٣] فأي حاجة اذن لنزول الوحي واستمرار النبوة.
مع أننا نجد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم قد قادوا الأمة بالكتاب والسنة من غير ضرورة لوحي يأتيهم من السماء.
وإن سلمنا لهم ذلك فأي شيء سيوحيه الله تعالى إليهم أبشيء في الكتاب والسنة أم بشيء ليس فيهما؟
فإن كان بشيء فيهما فلا حاجة لنا به، وإن كان بشيء ليس فيهما فلذلك اتهام لدين الله عزوجل بأنه لم يكمل وأنه لا يزال يكمله على أيدي أئمة الشيعة وذلك يعارض قول الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا) [١٤٤]
وفي كل كلمة في هذه الآية دليل على عدم حاجة الناس إلى وحي جديد.
٥-نقول لهم هل يفهم الكتاب والسنة بغير وحي جديد أم لابد من وحي جديد يتنزل على الأئمة؟
فإن قالوا يفهمان بغير وحي فقد خصموا أنفسهم، وإن قالوا لا يكون ذلك إلا بوحي يتنزل على الأئمة قلنا لهم فأين أمامكم الذي يوحى إليه؟
أليس قد اختفى منذ ألف سنة؟
فيقولون بلى، قلنا لهم اذن أنتم تعيشون في ضلال منذ ألف سنة لأن الإسلام لا يفهم إلا بوحي كما تزعمون!
والوحي غير موجود لأن صاحبه مختف فأنتم اذن على غير الإسلام منذ اختفاء امامكم ... وهذه هي نتيجة العقائد الباطلة.
٦-أن فتح هذا الباب قد أدى لنتائج سيئة منها ادعاء النبوة صراحة من بعض فرق الشيعة.
ومنها اسباغ صفات التقديس والتعظيم على الأئمة والتي لا تليق إلا بالله عزوجل كعلم الغيب والإحاطة بكل شيء كان أو سيكون وغير ذلك، وكذلك أثبتوا لهم العصمة كالأنبياء سواء بسواء.
ومنها افساح المجال لكل من تولى الامامة ليقول ما شاء ويدعي ما يشاء من غير ما يطالب بالدليل على قوله أو يناقش في دعواه لأنه معصوم ويتلقى علمه من الله مباشرة بدون واسطة.
وهذا الذي جعلهم قليلي البضاعة في العلوم الشرعية.
٧-اعتقادهم هذا يتناقض مع دعواهم الايمان بعقيدة ختم النبوة الذي نقلوه عن امامهم جعفر الصادق حيث قال: (ان الله عزوجل ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده وختم بكتابكم

---

(١٤٣)سورة الاسراء ٩
(١٤٤)سورة المائدة - الآية ٣

فلا كتاب بعده أبدًا وأنزل فيه تبيان لكل شيء) [١٤٥] اذ هذا يعني قد انقطع الوحي فلا يوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ولن ينزل بعد القرآن كتاب والقرآن مبين لكل شيء.

ولكنهم قد أثبتوا الوحي للأئمة كما تقدم وأثبتوا مصحفًا جديدًا بعد القرآن لفاطمة فأيهما يا ترى هو المعتمد عندهم من أقوال جعفر الصادق أنزول الوحي أم انقطاعه؟

ولأجل هذا التناقض في آثارهم عن أئمتهم فهم يجدون صعوبة في التوفيق بين اعتقاد نزول الوحي على الأئمة وبين اعتقاد انقطاع الوحي كما يقول ذلك صاحب كتاب نظرية الامامة لدى الشيعة الأثنى عشرية (إن أهم مشكلة تواجه امام الشيعة من حيث ما أرادوه له من علم هو كيف يتفق له ذلك كله وقد انقطع وحي السماء والشيعة لا ينكرون ذلك!) [١٤٦]

ولعل هذه الأمور التي ذكرتها في ابطال هذه العقيدة الباطلة وغيرها هي التي أدت ببعض المتأخرين من علماء الأمامية إلى التبرؤ من تلك العقيدة الباطلة.

فقد صرح الشيخ الشيعي آل كاشف الغطاء (أن كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله)

فقد أثبت عقيدة الختم بنفي حدوث نبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفي النبوة بمفرده يعني أنه لا وحي ولا كتاب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وخلاصة الأمر أن عقيدة الامامية في نزول الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة باطلة زائفة لا تملك لها سندًا لا من كتاب ولا من سنة صحيحة ولا معقول وهم فيها متناقضون ما بين مؤيد ومعارض لاضطراب أدلتهم ومصادرهم. [١٤٧]

ثانيًا: معارضة شيخ الإسلام لغلاة الصوفية:

من خلال عرض أقوال الغلاة من المتصوفة وعلى رأسهم ابن عربي يتبين لنا عقيدتهم في بقاء النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يرون أن النبوة لا تزال باقية!

ولما كانت تلك العقيدة تتعارض مع عقيدة ختم النبوة بنبوة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم المجمع عليها فإنه لابد من وقفة لمعارضة أقوالهم خصوصًا أقوالهم كبيرهم ابن عربي.

وقد ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله بشدّة عليه، وعلى من نهج منهجه وسلك مسلكه، في رسائله وكتبه، ونسب كلامه إلى الكفر الذي تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا [١٤٨].

---

(١٤٥) أصول الكافي (٢٥٨/٣) بشرح الشافي

(١٤٦) ص ١٤٦ للدكتور أحمد محمود صبحي

(١٤٧) انظر كتاب عقيدة ختم النبوة، أحمد الغامدي ص ١٤٦ وما قبلها

وعند تأمل كلام ابن عربي ينبغي أن نستصحب من خلال هذا التأمل مدى جهل الذين يعتذرون لـ ابن عربي أو يجهلون كفره؛ لأن كفريات ابن عربي كثيرة وثابتة في كل كتبه، ومن أمثلته هذا، مع أن هذا على وضوحه يعتبر من الكفريات التي تحتاج إلى بيان عند بعض الناس، وله كفريات صريحة وواضحة مثل الشمس.

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟! {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} [البقرة:١١١].

{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر:٥٦]، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟! وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى من الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير.

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: {لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} [الأنعام:١٢٤]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين؛ لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين؛ لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر لأجرى عليه حكم المرتد، ولكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه. (١٤٩)

وذلك التدرجُ وتلك النهايةُ التي وصل إليها ابن عربي هي التي جَعلت شيخ الإسلام ابنَ تيمية - رحمه الله - يقول: "ففي هذا الكلام من أنواعِ الإلحاد والكفرِ وتنقيصِ الأنبياء والرسل ما لا تقولُه لا اليهودُ ولا النصارى، وما أشبَهَه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل: "فخرَّ عليهم السقف من تحتهم": "إنَّ هذا لا عَقْلَ ولا قرآن"، وكذلك ما ذكر هنا من أن الأنبياءَ تستفيدُ من خاتم الأولياء الذي بعدَهم هو مخالفٌ للعقل، فإنَّ المتقدِّمَ لا يستفيدُ من المتأخِّر، ومخالفٌ للشرع، فإنه معلومٌ بالاضطرار من دينِ الإسلام أن الأنبياءَ والرسلَ أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا أنبياءَ ولا رُسلاً". (١٥٠)

وقال شيخ الإسلام: "وصار كل من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف كما فعل السهروردي المقتول فإنه كان يقول لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر؛ وكان ابن سبعين يقول: لقد زرب أبن آمنة حيث قال: لا نبي بعدي ويقال إنه كان يتحرى غار حراء لينزل عليه فيه الوحي.

---

(١٤٨)انظر ((مجموعة الرسائل والمسائل)) لابن تيمية (٤ / ٥٧) ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
(١٤٩) شرح الطحاوية لناصر العقل (١٠٠/ ٤)
(١٥٠) من رسالة حقيقة مذهب الاتحادية ضمن مجموع "المسائل والرسائل" (٤/ ٨٥).

وابن عربي ادعى ما هو أعظم من النبوة عنده، وهو ختم الولاية وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الأنبياء في العلم بالله، وهو يقول إن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون من مشكاة هذا الخاتم المدعي بمعرفة الله التي حقيقتها وحدة الوجود، وهي تعطيل الصانع سبحانه التي هي سر قول فرعون". [١٥١]

وقال شيخ الإسلام في نقض مسألة خاتم الأولياء التي اخترعوها : (وكذا لفظ (خاتم الأولياء) لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حمويه وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعاً في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء.

فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه وثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه تعالى عنه، ثم عمر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما[١٥٢].)

ثم بين الشيخ ضلال معتقد هؤلاء فقال: (وقد ظن طائفة غالطة، أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم باللّه، وأن الأنبياء يستفيدون العلم باللّه من جهته، كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات المكية وكتاب الفصوص، فخالف الشرع والعقل، مع مخالفة جميع أنبياء اللّه تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخر عليهم السقف من تحتهم لا عقل ولا قرآن.

ذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء فكيف يكون الأنبياء كلهم؟

والأولياء إنما يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم ويدعي أنه خاتم الأولياء وليس آخر الأولياء أفضلهم كما أن آخر الأنبياء أفضلهم؛ فإن فضل محمد صلى الله عليه وسلم ثبت بالنصوص الدالة على ذلك[١٥٣].)

---

(١٥١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٢-٢٣)
([١٥٢])((فتاوى شيخ الإسلام)) (١١ / ٤٤٤) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه.
([١٥٣]) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية – ص١٨٦

ثم بين الشيخ أن كلامهم هذا وتفضيلهم الأولياء على الأنبياء الحاد وكفر فقال: (وهؤلاء الملاحدة يدعون أن " الولاية " أفضل من " النبوة " ويلبسون على الناس فيقولون: ولايته أفضل من نبوته وينشدون: مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي، ويقولون نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى فضلا عن أن يماثله هؤلاء الملحدون.
وكل رسول نبي ولي فالرسول نبي ولي.

ورسالته متضمنة لنبوته ونبوته متضمنة لولايته وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع فإنه حال إنبائه إياه ممتنع أن يكون إلا وليا لله ولا تكون مجردة عن ولايته ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلا للرسول في ولايته.
وهؤلاء قد يقولون -كما يقول صاحب " الفصوص " ابن عربي -: إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول؛ وذلك أنهم اعتقدوا " عقيدة المتفلسفة " ثم أخرجوها في قالب " المكاشفة ") [١٥٤]

ثم ذكر شيخ الإسلام أن الذي يأتي ابن عربي وغيره إنما هو من الشياطين وليس من الملائكة كما يزعمون فقال: (وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب " الفتوحات " أنه ألقي إليه ذلك الكتاب؛ ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين وشيء معين وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالًا بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الأولياء وإنما هو من الأحوال الشيطانية، وأعرف من هؤلاء عددًا ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو بعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك.

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم كما يوجد في كلام صاحب " الفتوحات المكية " و " الفصوص " وأشباه ذلك يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ويتنقص الأنبياء: كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين: كالجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري ويمدح المذمومين عند المسلمين: كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية.)[١٥٥]

معارضة أقوال ابن عربي في مسألة ختم النبوة:
أولاً: العبارة التي يُبَيِّنُ بها ابن عربي عقيدتَه في ختم النبوة، حيث قال: "وخَتَم بمحمد -صلى الله عليه وسلم -جميع الرسل" عبارةٌ قاصرةٌ عن أداءِ المعنى الشرعي كما وردت

---

(١٥٤) مجموع الفتاوى (٢٢٦/١١) وما بعدها
(١٥٥) مجموع الفتاوى (٢٣٩/١١)

به النصوص، ففي القرآن الكريم: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [١٥٦]، وفي الحديث: "وخُتم بي النبيون"، إذ في هذه النصوص أن الرسولَ -صلى الله عليه وسلم -خاتمُ النبيين، والنبوَّةُ أعم من الرسالة، ونفيُها نَفي لها وللرسالة.

ولهذا فالنصوص الشرعيةُ لا تتركُ مَنفذًا لدعوى نبوةٍ جديدة أو رسالةٍ جديدة.

أما ابنُ عربي، فلا يَنفي النبوةَ، وإنما ينفي الرسالة، فيبقى احتمالُ وجودِ النبوة، وهذا ما أراده هو بهذه العبارة، وذلك ليتسنَّى له فيما بعدُ أن يدَّعيَ بقاءَ النبوة -وقد فعل-، حيث زَعَم بقاءَ النبوة العامة.

ثانيًا: تقييدُه نصَّ الحديث النبوي: "لا نبيَّ بعدي" بنفي النبوةِ التشريعية تقييدٌ باطل، وذلك أن نفيَ النبوة -كما رأينا من قبلُ مِرارًا- أعمُّ من نفي الرسالة، والذي يتلقَّى النبوةَ قد يؤمرُ بتبليغ ما أُوحى إليه من تشريعٍ أو غيره، فيصبح نبيًّا رسولاً، وقد لا يؤمرُ بذلك، فيكون نبيًّا فقط، والنصوصُ الشرعيةُ قد نَفَت كِلتا الحالتين، وذلك بنفي الأعمِّ -وهو النبوةَ- وانتفاءُ النبوة يعني انقطاعَ الوحي، وهذه هي عقيدةُ الأمة الإسلامية من عهدِ - رضي الله عنهم - ولما قيل لابن عمر: "إن المختار يزعمُ أنه يوحَى إليه.

قال: صدق: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [١٥٧]"، فهو يَرى أن الوحيَ الربَّانيَّ قد انقطع، وإنما هو الوحيُ الشيطانيُّ ... ولو لم يكن كذلك لَمَا سارعَ بذلك الرد. [١٥٨]

ثالثًا: قولُ ابن عربي: "إن حديث: "لا نبيَّ بعدي"، قد قَصَم ظهورَ الأولياء"، يكشفُ لنا عن موقفِ أولياء الصوفية من النصوص الشرعية، وهو موقفٌ لا يتفقُ مع الولايةِ الصحيحة.

وإلاَّ فأيُّ ولايةٍ تلك التي لا تَرضى ما قَضَى الله به -عزَّ وجلَّ-؟ واللهُ يقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [١٥٩] والله يقول كذلك: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[١٦٠]، فهو التحكيمُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم انتفاءُ الحرج من النفس، وأخيرًا لتسليمُ الكاملُ الذي ينتفي معه حَظُّ النفسِ، وإلاَّ فقد عَرَّض نفسَه لنقصِ الإيمان أو نقضِه، وقد كان ينبغي عليهم -وهم يزعمون الولاية- أن يستقبِلوا شرعَ الله وقضاءَه بقلوبٍ طائعةٍ راضية، وذلك ما يستقيمُ مع دعوى الولاية.

---

(١٥٦)[الأحزاب: ٤٠]
(١٥٧)[الأحزاب: ٣٦]
(١٥٨) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر (٢/ ١٥٦)
(١٥٩)[الأحزاب: ٣٦]
(١٦٠)[النساء: ٦٥]

ثم إن ابن عربي يُخفِّفُ على الأولياء بأن الله لَطَفَ بعباده فأبقى لهم النبوة العامة!! يا لها من جرأةٍ تلك التي أقدم عليها ابنُ عربي!! فمِن أين له تلك القَولة؟! فالقرآنُ والسنةُ وإجماعُ الأمة، كلُّها تثبت انقطاعَ النبوةِ مطلقًا، فكيف أقدم ابنُ عربي على هذه القولةِ العظيمة التي تُعارِضُ كلامَ الله سبحانه وتعالى وكلامَ رسوله -صلى الله عليه وسلم -؟! إذ يخبرُنا الله ورسولُه بانقطاعِ النبوة، وابنُ عربي يدَّعي بقاءَها واستمرارَها! فهل استجدَّ في علم الله سبحانه وتعالى جديدٌ، ثم أخبر به ابنَ عربيٍّ بعد أن قَضَى على لسانِ رسولِه -صلى الله عليه وسلم -أنْ لا نبوةَ بعدَه، وأنه آخرُ الأنبياء؟! اللهم إنها قَولةٌ كاذبة لا تصدرُ مِن مُسلِمٍ عاقل، بَلْهَ أن يكون وليًّا يزعم أنه خاتم الأولياء.

رابعًا: ادَّعى أنه كَتب كتابه "الفصوص" بوحيٍ من الله، حيث قال: "فما أُلقِي إلاَّ ما يُلقى إليَّ، ولا أُنزل في هذا المسطور إلاَّ ما يُنزَلُ به عليَّ".

فهذا الكتاب المذكور أأُنزل موافقًا للقرآن أم مخالفًا له؟ فإنْ كان موافقًا فما الحاجة إليه؟ وإن كان مخالفًا، فهل هو مخالفٌ للأحكام أم للأخبار؟ فإنْ كان مخالفًا للأحكام فهذا نَسخٌ، وقد ادَّعى هو أنه يعتقدُ أنْ لا شرعَ بعد شرع الإسلام ... وإن كان في الأخبار، اقتضى تكذيبَ القرآن والقرآنُ وحيُ الله -عزَّ وجلَّ-إلى محمد -صلى الله عليه وسلم -، والوحيانِ الثابتانِ لا يتناقضان.

ثم ما يُدرينا صِدقَ تلك الدعوة؟ وما الفرقُ بينها وبين دعوى أيِّ كاتبٍ آخَرَ ادَّعى أن كتابَه وحيٌ من الله؟ فلا بدَّ إذن من برهانٍ مُعجِزٍ ليضمنَ لنا صِدقَ دعواه ... وذلك لم -ولن-يتمَّ، لأنه من خصائصِ الأنبياء فقط، والنبوةُ قد انقطعت، والمعجزةُ هي التي تؤكِّد لصاحبها ولغيرِه صِدقَ دعواه تلك ... وإلا فما يُدرينا أن ذلك الوحيَ من وحيِ الشياطين ... وهو الوحيُ الذي لم يُختَمْ بعد.

خامسًا: ابتدع ابنُ عربي اصطلاح "خاتم الأولياء" كما ذكرت ذلك عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأحاطه بهالاتٍ من التقديس والتعظيم حتى جَعَله مصدرَ علوم الرسل ... وتلك بدعة لا أصلَ لها في شرع الله -عزَّ وجلَّ-، وهو إحدى حلقاتِ تلك السلسلة من الأدِّعاءات المجرَّدة من الأدلة الشرعية، ويكفي ذلك إبطالاً لها، ثم إن دعواه تلك تعني انتهاءَ بقاءِ أولياءِ بعده كما صرَّح بذلك بنفسه، حيث يقول: "بفقدي تذهبُ الدولُ، وتَلحقُ الأُخرَياتُ بالأول".

يعني أن تنتهي الحياةُ وتنتهي الولاية، وهذا واضحُ البطلان، إذ لم تذهب الدول، ولم تَنتهِ الولاية، وذلك تحقيقًا لنبوةِ نبينا محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - الذي يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يُقاتِلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة"، أي: تبقى طائفةٌ من المؤمنين المجاهدين إلى انتهاءِ العالَم، فالعالمُ موجود، والمجاهدون في سبيل الله في كل مكان، وكلُّ مؤمن متَّقٍ فهو من أولياءِ الله، كما أخبر الله بذلك، حيث يقول: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ

اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[١٦١]، ولم يقل: "إن أولياءَ الله الذين كان يُوحَى إليهم" .. فالمؤمنون المجاهدون في الحديث لا شك أنهم متقون، وهم على الحق، وقد وَعَد الرسول -صلى الله عليه وسلم -ببقائهم، وهي نبوةُ صدق وحقٍّ.[١٦٢]
سادسًا: وأما زَعمُه بأن الرسلَ لا يقتبسون عِلمَهم إلا من مشكاته فهذا في غايةُ السَّفَةِ والأزراء بمقامِ الأنبياء، كما أنه مخالفٌ للعقل أن يَتلقَّى الحيُّ الموجود من إنسان لم يُخلق بعد، ويَكفي ردًّا على هذا الادعاء ما سبق من قول ابن تيمية -رحمه الله -.
سابعًا: دعواه أن سيدَ الخَلق محمدًا -صلى الله عليه وسلم -لم يَرَ إلا موضعَ لبنةٍ واحدة، مع أنه موضعُ لبنتين -كما يراها الوليُّ-، بل ويدَّعي أنه لبنةُ الذهب والنبيَّ لبنة الفضة.[١٦٣]

دعوى ابنِ عربي هذه يَصِلُ بها إلى آخِرِ درجاتِ الهبوط العقلي التي يصاب بها كلُّ مَن تجارت به الأهواء وعَبَثت بخياله الشياطين ... إذ كيف يكونُ أشرفُ البشر على الإطلاق وسيدُ ولد آدم وقائدُ الأنبياء وأكرمُهم على الله، والذي أُعِدَّ له في أعلى الجنة مكانٌ لا يَصِلُ إليه سواه؛ لِمَا له عند الله من المكانة والتكريم: كيف يكونُ أقلَّ من أحدِ أتباعه مِمَّن يزعُمون لأنفسِهم الولاية والتي لا تنالُ إلاَّ بمتابعته - صلى الله عليه وسلم -، فلا يَرى الأمورَ على حقيقتها حتى يأتي ابنُ عربي في أعقابِ الزمن ينعى عليه - صلى الله عليه وسلم - رؤيته ويتَّهمُه بفسادها .. وإنها تهمةٌ تتعدَّى مقامَ النبي -صلى الله عليه وسلم -إلى مقام الله سبحانه وتعالى الذي أخفى عن رسوله الصورةَ الصحيحة وأراه خلافَها.
وإن ذلك الاتهامَ ليهدمُ الإسلامَ من أساسه، إذ مَن يَعجِزُ عن رؤيةِ أحد أصول العقيدة على حقيقته عاجزٌ عن أن يَرى بقيةَ أمورِ الشريعة على حقيقتها، فلا يؤمَنُ جانبُه في تبليغ شرع الله ... هذا ما تَعنيه تلك القولةُ الآثمةُ التيَ تَحُطُّ من قَدرِه -صلى الله عليه وسلم - وحاشاه عن ذلك-.
ثامنًا: يدَّعي ابنُ عربي أن الوليَّ متبعٌ ظاهرًا مستقلٌّ باطنًا، حيث قال: "أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه"، وهذه نتيجةٌ طبيعيةٌ يَصِلُ إليها ابنُ عربي بعد تلك الضلالات المتراكمة، فما دام أن الوليَّ يتْلقَّى الوحيَ من الله، وأن رؤيته أصحُّ من رؤيةِ النبي، فلا حاجةَ له إلى الأخذِ عن النبي؛ لأنه أصحُّ رؤيةً وأصدقُ تصورًا منه.
تاسعًا: إن جميعَ هذه المصطلحات التي جاء بها ابن عربي: "من قوله: "إنما ارتفعت نبوةُ التشريع"، وقوله: "لا شَرع خاصة، لا أنه يكون بعده نبي"، وقوله: "إن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوَّةَ العامةَ التي لا تشريع فيها"، وقوله: "إني أنا الختمُ لا وليَّ بعدي"، بعد أن ذَكَر أن هناك خاتمًا للأولياء، وزَعْمِه أن الرسلَ لا يقتبِسون علومَهم "إلا من مشكاةِ خاتم

([١٦١])[يونس: ٦٢ - ٦٣]
(١٦٢) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر (٢/ ١٥٨-١٦٠)
(١٦٣) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر (٢/ ١٦٢)

الأولياء"، وزعمه أن الوليَّ يرى موضعَ لبنتينَ لا كما رآها النبيُّ موضعَ لبنةٍ واحدةٍ، وأن أحدهما فضةٌ -هي النبي-، والأخرى ذهب -وهي الولي-.
ثم أخيرًا الوليُّ مستقلٌّ بـ "أخذ عن الله في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه" ... إن هذه المصطلحات التي أحدثها ابن عربي، وبَنى عليها مذهبه في القول بتجدُّدِ الوحي باطلةُ الأساس لا يثبت عليها بناء.
وهي مصطلحات مبتدَعة دخيلة على التصوُّر الإسلامي لا تصدرُ عن مسلمٍ يحترمُ عقلَه ودينه.
إذ كل واحدةٍ منها تكفي لتكفيرِ صاحبها وإخراجه من دينِ الإسلام؛ لأنها تعارضُه فيما قرَّره من الأصول الثابتة التي تعرفُ من دينِ الإسلام بالضرورة، فكيف بها إذا اجتمعت؟!.
ولابن عربي بعضُ العبارات الأخرى التي توحِي لقارئها بأنه سَلَفيٌّ متبع يقفُ عند كلِّ حدٍّ من حدودِ الله لا يتجاوزُه ولا يتعدَّاه، ومِن ذلك قوله في أول كتاب "الفصوص": "ومن الله أرجو أن أكونَ ممن تأيَّد فتأيَّد، وقُيِّد بالشرع المحمدي المطهَّر فتقيد وقُيِّد". [١٦٤]
ولكنه لم يُقيَّد ولم يتقيَّد، وإلا لَمَا اشتَط به الفكرُ والهوى إلى تلك الضلالات المخالفةِ لعقيدة الإسلام. وإن هذا التناقضَ قد يؤيِّدُ قوله الذهبيِّ فيه: إنه "أثَّرت فيه تلك الخَلَواتُ والجوعُ فسادًا وخيالاً وَطَرف جُنون". [١٦٥]
اذ الرجل كان من أرباب التصوف والرياضات النفسية، وإنا لنرجو أن يكون قد تاب من هذه الشطحات، ومات على حال أخرى. [١٦٦]
وهذه العقيدة المفتراة التي لم يأت بها كتاب ولا سنة.
ثالثًا: معارضة القاديانية:
لأن القاديانية فرقة معاصرة فلن نجد لشيخ الإسلام كلامًا عنها، لذلك سنعارضها نحن على نفس طريقة الشيخ رحمه الله.
١-هذا التأويل الذي ذكروه أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو أفضل النبيين لا أنه آخرهم لا تسانده أقوال المفسرين والعلماء، ولا يصحُّ إلا في لغة الأعاجم، وأما في اللغة، التي أنزل الله تعالى بها القرآن، فلا يصحُّ أبدًا؛ بل لا يجوز؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه.
قال الله تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) [١٦٧] فنفى سبحانه أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم أبا أحد من رجال المخاطبين، وأثبت كونه رسول الله، وخاتم النبيين.

---

(١٦٤) "فصوص الحاكم" (ص ٤٨).
(١٦٥) "ميزان الاعتدال" للذهبي (٣/ ٦٥٩).
(١٦٦)"عقيدة ختم النبوة" (ص ١٥٧ - ١٦٦) لأحمد بن سعد بن حمدان الغامدي - دار طيبة الرياض
(١٦٧) (الأحزاب:٤٠)،

وقد جاء هذا النفي ردًّا على المنافقين واليهود، الذين قالوا: تزوج محمد حليلة ابنه زيد، وهي زينب-رضي الله عنها-التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن طلقها زيد بن حارثة، وهو ابنه بالتبني.
وكان الهدف من هذا الزواج هو إبطال فكرة التبني، التي كانت سائدة في المجتمع الإسلامي وقتئذ.
وقوله تعالى: (وَلَكِنْ رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) استدراكٌ، الغرضُ منه: بيانُ إجمال النفي قبله، ورفعُ ما قد يُتَوَهَّمُ مِن نفي أبوته عليه الصلاة والسلام، من انفصال صلة التراحم والبِّرِ بينه، وبين الأمة، فذُكِّروا بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو كالأب لجميع أمته في شفقته ورحمته بهم، وفي برِّهم وتوقيرهم إياه، شأن كل نبيٍّ مع أمته.
وأنه خاتم النبيين؛ وذلك لأن النبي، الذي يكون بعده نبيٌّ، إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان، يستدركه من يأتي بعده.
وأما من لا نبيَّ بعده يكون أشفق على أمته، وأهدى لهم وأجدى؛ إذ هو كالوالد لولده، الذي ليس له غيره من أحد.
فكونه عليه الصلاة والسلام {رَّسُولَ اللَّهِ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، يفيد أنه ليس بأب شرعي لأحد من رجالهم، وأنه أب للمؤمنين جميعًا، وأن الصلة بينه، وبينهم هي صلة النبي بأمته.
هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه لو كان عليه الصلاة والسلام أبًا لأحد من رجالهم، لما صحَّ أن يكون خاتم النبيين والمرسلين؛ لأنه لو ثبت أنه أبٌ شرعي لأحد منهم؛ كزيد بن حارثة مثلاً، لربما خلفه في النبوة، فلا يكون حينئذ خاتم النبيين والمرسلين.
ومعنى كونه عليه الصلاة والسلام {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} أن النبوة ختمت بنبوته، فلا نبي بعده إلى أن تقوم السَّاعة.
أي: أنه لا تبدأ نبوة، ولا تشرَّع شريعة بعد نبوته وشرعته، فهو آخر الأنبياء عليهم السلام.
ويلزم من كونه صلى الله عليه وسلم {خَاتَم النَّبِيِّينَ} كونه {خَاتَم المُرْسَلينَ}؛ إذ لا رسالة إلا بنبوة. ولهذا يقال: كل رسول نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولاً.
٢-قولهم إن {الخاتَم} بمعنى: {الزينة}، لا يقول به إلا جاهل بلغة العرب، أو متجاهل خبيث شرير، غرضه إثارة الشبهات، ووضع السمِّ في الدَّسَم، ولا يخفى ذلك إلا على ضعاف النفوس والإيمان.
عجبا لهؤلاء الأعاجم الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ولا يسمعون بل ما زالوا في غيهم يعمهون أما علموا أن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين ويؤخذ تفسيره أولا من القرآن نفسه لأنه إذا أجمل في آية فصلها في آية أخرى وقد ألف العلماء في تفسير القرآن بالقرآن تفاسير عديدة.
ثانيا ممن أنزل عليه وهو الرسول العظيم.

ثالثا من أصحابه الكرام الذين صحبوه وبذلك كانوا أدرى بمعانيه لما وهبهم الله من الفهم التام والعلم الصحيح ولما شاهدوا من القرائن والأحوال عند نزوله ولأنهم تعلموا القرآن من صاحب الوحي.
رابعا إذا لم يوجد تفسيره في الكتاب العزيز ولا في أحاديث الرسول ولا في تفاسير الصحابة يرجع إلى اللغة العربية ولكن يجب أن يعلم أن المعنى المحتمل من حيث اللغة يقبل إذا لم يخالف التفسير المأثور عن النبي وأصحابه والسلف الصالحين بإجماع المسلمين.
وإذا فهمت ما قدمته لك فاقرأ ما أتلوه عليك:
الخاتَم، بفتح التاء وكسرها، اشتقاقهما من الخَتْمِ.
والختم-في اللغة-ينبئ عن إتمام الشئ، وبلوغ آخره.
يقال: فلانٌ خَتَمَ عليك بابه، إذا أعْرَض عنك.
وخَتَمَ فلانٌ لك بابَهُ، إذا آثرَك على غيرك.
وخَتَم فلانٌ القُرآن، إذا أتمَّ قراءته، أو حفظه إلى آخره.
وخاتِمة السورة: آخرها.
واخْتَتَمَ الشيء نَقيض افتَتَحه.
وخاتَم كل شيء، وخاتِمه، وخِتامه: عاقبتُه وآخرهُ.
وخِتامُ الوادي: أقصاه.
وقوله تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ). (١٦٨)
أي: آخرُ ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحةُ المسك ويقرأ: {خَاتِمهُ مِسْكٌ} أي: عاقبتُه ريحُ المسك. وخِتامُ كلِّ مشروبٍ، وخاتَمُه: آخِرُه. وقال الفراء: قرأ عليٌّ عليه السلام: {خَاتِمُه مِسْكٌ}، وقال: أما رأيتَ المرأَةَ تقول للعطَّار: اجعلْ لي خَاتِمَه مِسكًا، تريد: آخرَه؟ وقال الفراء: والخاتِمُ والخِتامُ متقاربان في المعنى، إلاَّ أن الخاتِمَ: الاسمُ، والخِتام: المصدر.
وحقيقةُ الخَتْمُ: السَّدُّ على الإناء، والغَلْقُ على الكتاب، بطين ونحوه، مع وضع علامة مرسومة في خاتَم؛ ليمنع ذلك من فتح المختوم. فإذا فُتِح علم صاحبه أنه فتِح، لفسادٍ يظهر في أثر النقش. وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتَمًا لذلك.
وقد كانت العرب تختم على قوارير الخمر؛ ليصلحها انحباس الهواء عنها، وتسلم من الأقذار في مدة تعتيقها.
والخَتْمُ: أفواه خَلايا النَّحْل.
والخَتْمُ أن تَجمع النحلُ من الشَّمَع شيئًا رقيقًا، أرقَّ من شَمَع القُرْص، فَتَطْلِيَه به.
والخاتَم، بفتح التاء، الطين الموضوع على المكان المختوم.

---
(١٦٨) (المطففين:٢٦)

وأطلق على القالَبِ المنقوش فيه علامة، أو كتابة، يطبَع بها على الطين، الذي يُختَم به، بحيث لا يخرج منه شيء، ولا يدخل فيه شيء.
والخِتام: الطين الذي يُخْتَمَ به على كتابٍ.
ويقال: هو الخَتْم، يعني: الطين الذي يُختَم به.
والخِتَامُ هو أن تُثار الأرضُ بالبَذرِ حتى يصير البذرُ تحتها، ثم يسقونها.
وخَتْمُ البَذر: تغطيته؛ ولذلك قيل للزَّارِع: كافرٌ؛ لأنه يغطِّي البَذْر بالتراب.
قال الله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) [١٦٩]، فجعل على قلوب الكافرين، وأسماعهم خَتْمًا؛ كختم الطين على الجرَّة؛ ليكون لها مانعًا، يمنعها من ألَّا يدخل فيها شيء، أو يخرج منها شيء.
أما أبصارهم فجعل عليها غشاوة؛ لتكون مانعة لها من الرؤية منعًا، لا يكون معه إلا العمى؛ وذلك لأنهم لم يؤمنوا.
وقال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) [١٧٠]، فجعل على قلوب المنافقين طابعًا، يمنعها من الفهم والعقْل منعًا، لا يرقى إلى المنع بالختم، وبالغشاوة؛ لأنهم آمنوا، ثم كفروا.
وقوله تعالى: (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ) [١٧١] أي: نمنعهم من الكلام.
والختم على الأفواه، والقلوب قريب معناه من القَفْل.
والخَاتَم والخَاتِمُ: من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، وسمِّي بذلك لأن الله تعالى ختم به الأنبياء والرسل، وتمَّمَهم به، بحيث لا يأتي بعده نبيٌّ، ولا يبعث ممَّن قبله نبيٌّ؛ كما يختم بالطين على الجرَّة، بحيث لا يدخل فيها شيء، ولا يخرج منها شيء، فليُتأمَّل!
ويدل على ذلك قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: {ولَكِنْ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبَيِّينَ}.
وجاء في تُحْفَةِ الأَحْوَذِيِّ:" الخاتِمُ، بكسر التاء أي: فَاعِلُ الخَتْمِ، وهو الإِتْمَامُ، والبُلُوغُ إلى الآخر، وبفتح التاء، بمعنى الطَّابَعِ، ومعناهُ: الشيءُ الذي هو دليلٌ على أنه لا نَبِيَّ بعده.
وقال القاضي البَيْضَاوِيُّ: خَاتِمُ النُّبُوَّةِ أَثَرٌ بين كتفيه، نُعِتَ به في الكتب المتقدِّمة، وكان علامةً يُعْلَمُ بها أنه النَّبِيُّ الموعود، وصيانةً لنُبُوَّتِهِ عن تطرُّق القدْح إليها صيانةُ الشيءِ المُسْتَوْثَقِ بالخَتْمِ. ذكره العَيْنِيُّ ".
ولأن الله عز وجل يريد بيان كذب هذا الدجال جعله يقع في التناقض فهو يستخدم كلمة خاتم بمعنى الأخير في كتبه، كما في قوله: " كنت خاتم الولد عند أبي، فلم يولد له

(١٦٩)(البقرة:٧)
(١٧٠)(المنافقون:٣)
(١٧١)(يس:٦٥).

ابن بعدي"[١٧٢]، وكتب عن عيسى بن مريم عليه السلام: " لقد كان خاتم الأنبياء إلى بني إسرائيل"[١٧٣]

وهنا يلزم التنبيه على تناقض واقعهم وحالهم مع قولهم " فهل يمكن أن يأتي نبي بحيث يكون أدنى منـزلة من الرسول صلى الله عليه وسلم؟ وهل يمكن أن يأتي نبي يكون تلميذًا له صلى الله عليه وسلم، ولا يأتي بدين ولا كتاب ولا بأمة جديدة؟ وماذا سيفعل إن لم يأتِ بدين أو كتاب أو لم يقم بتأسيس أمة جديدة؟ الجواب نعم بالطبع، وهذه هي الصفة الغالبة على معظم النبيين.

فقليل جدا منهم من جاء بدين جديد وشرع جديد، وقليل منهم من أنشأ أمة جديدة، وإنما جاء معظمهم لتجديد الدين السابق وإعادة الناس إلى دينهم الأصلي."

حيث أن القادياني في الحقيقة جاء بدين جديد لا يمت بصلة لدين محمد عليه الصلاة والسلام، مما يبطل دعواهم!!

وأيضاً إذا كان يمكن أن يكون هناك نبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلماذا حصرتوها في نبي واحد فقط وهو ميرزا غلام، لماذا لايكون هناك أنبياء أخرين وهكذا لا يمكن غلق الباب أمام أي دجال آخر!!

٣-قالوا أن الله قال : (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[١٧٤] ولم يقل وخاتم المرسلين.

والجواب عن هذه الشبهة السقيمة أن نقول: إن الآية الكريمة نص في أن لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فإن كان كل رسول نبي ولا ينعكس لأنه يلزم من ختم النبوة وهي الأعم ختم الرسالة وهي الأخص وذكر ذلك أكثر المفسرين وهذا من بلاغة القرآن ودقة تعبيره حيث لم يقل وخاتم المرسلين لأنه لو قال كذلك لقال المتنبئون الكذابون ولم يقل وخاتم النبيين على اعتبار خصوصية الرسالة ولكن الله قطع عليهم الطريق بقوله (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) لأن الرسالة مبنية على النبوة فإذا احتجبت النبوة احتجبت الرسالة معها وهذا على القول بالفرق بين النبي والرسول كما هو قول الجمهور قائلين إن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه وقال بعضهم : إنهما مترادفان فلا فرق بينهما واستدلوا بالآيات والأحاديث التي أطلقت لفظ الرسول والنبي على رجل واحد فإذا كانا مترادفين فلا مستمسك للبهائية والقاديانية بأنه لم يقل وخاتم النبيين كما لا يخفى.

---

(١٧٢)كتابه (خزائن روحانية، ج٢١ ص ١١٣)، و(براهين أحمدية، ج ٥)

(١٧٣)(خزائن روحانية ج٢١ ص ٢٦٧)، و(براهين أحمدية الجزء ٥ ؛ طباعة الجماعة الأحمدية – القاديانية).

(١٧٤)الأحزاب:٤٠.

ونقول كذلك: ذكر الله في القرآن آيات كثيرة تدل على انقطاع النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، منها قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) [١٧٥]
فإنها دلت على أنه تعالى أكمل لهذه الأمة دينه من جميع الوجوه بحيث يكفي لكافة الورى إلى يوم الدين فلا حاجة لها إلى نبي بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ولا إلى دين غير دينها كما صرح به ابن كثير وعامة المفسرين وبالجملة فهذه الآية صرحت بختم النبوة وبه تجلى لك معنى الآية المذكورة.

ومنها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)[١٧٦] فقد صرح بعموم بعثته لكافة الورى إلى يوم القيامة وهو إعلان بختم النبوة بعده عليه السلام.
ومنها قوله تعالى(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)[١٧٧]دلت على عموم البعثة وختم النبوة.

ومنها قوله (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)[١٧٨]فإنه عليه السلام لما كان رحمة للعالمين كافيا في هدايتهم فلا يحتاجون إلى الإيمان برسول أو نبي بعده بل جريان النبوة بعده عليه السلام يستلزم أن يكفر من أمته من لم يؤمن بأنبياء ما بعده بعدما آمن به عليه السلام واتبعه وعمل بشريعته وحينئذ لم يبعث النبي صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالمين فقد صرحت الآية بختم النبوة بعده عليه السلام.

وبالجملة فغير آية من القرآن دلت على أن المراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين آخرهم أجمعين من دون تأويل ولا تخصيص (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [١٧٩]

٤-تحريفهم لمعنى الأحاديث النبوية:

قال القاديانيون في موقعهم: "عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي." (أبو داود، كتاب الفتن) يقولون: أين المجال بعد هذا الحديث لمجيء نبي من أي نوع، أو بأي مفهوم من مفاهيم ختم النبوة؟
هذا صحيح ونحن معكم في هذا مائة بالمائة، ونقر بأن الباب الذي أغلقه النبي صلى الله عليه وسلم لا يحق لأحد أن يفتحه أبدا.
فآمنّا وصدّقنا بكل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١٧٥)المائدة:٣ الآية
(١٧٦)الأعراف:١٥٨
(١٧٧)سبأ:٢٨
(١٧٨)الأنبياء:١٠٧]
(١٧٩)محمد:٢٤

ولكن الباب الذي فتحه النبي صلى الله عليه وسلم بيده لا يقدر أحد -كائنا من كان -على إغلاقه.
وهذا ما لا يقبله أصحاب الفهم التقليدي، مما يجعل الأمر متنازعا فيه.
ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان قد حذر من الدجالين من ناحية، فإنه من ناحية أخرى قال أيضًا حين أخبر عن نـزول عيسى عليه السلام: "ليس بيني وبينه نبيٌّ، يعني عيسى عليه السلام، وإنه نازلٌ ". سنن أبي داود، باب ذكر خروج الدجال.
بهذا الحديث قد حل النبي صلى الله عليه وسلم قضية "لا نبي بعدي"، وقضية الدجالين الثلاثين أيضا، إذ قال: ليس بيني وبينه نبي.
المراد من "بعدي" هو أنه مهما ظهر الدجالون الكذابون فلا تحسبوا عيسى دجالا، إنه نازل لا محالة غير أنه ليس بيني وبينه نبي ولا رسول.
... وينبغي ألا يفهم مما سبق أن النبوة مفتوحة لكل من هبّ ودب، ولكن المقصود هو أن مقام النبوة هو أحد المقامات التي ينالها المؤمنون كما ينالون الصديقية والشهادة والصالحية.
ومقام النبوة في الأمة الإسلامية مقيد بقيود كثيرة تجعله لا يعدو كونه درجة عند الله تعالى. " أ.هـ
الرد عليهم:
إن حقيقة ما يريده القاديانيون من كلامهم السابق أن هناك نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم هو عيسى عليه السلام، وهذا أمر مقرر في القرآن لكن الذي أخفوه هنا هو أن دجالهم ميرزا غلام هو النبي أو المسيح!!
ولذلك يبذلون جهدهم في إثبات أن نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام قد مات، وهذا من أساسيات الخلاف معهم.
وعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حين ينزل آخر الزمان لا ينزل على أنه رسول مجدِّد؛ بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأن الواجب على عيسى، وعلى غيره من الأنبياء-عليهم السلام-الإيمانُ بمحمد صلى الله عليه وسلم؛ كما قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)[١٨٠]
وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم؛ كما صحَّ ذلك عن ابن عباس وغيره.

الخاتمة

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة هي الخاتمة ؛ ولأن دينه خاتم الأديان ؛ لذا كانت معجزته عقلية خالدة، باقية ما بقى الزمان، فقد كانت الرسالات السابقة على الإسلام معجزاتها حسية لا تتجاوز فترة حياة النبي صاحب المعجزة أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم فهى باقية؛ لأنها تخاطب العقل فى كل زمان ومكان.

ولقد تحدى القرآن الكريم أن يأتى العرب وغير العرب بمثل سورة منه فعجزوا عن ذلك منذ نزل القرآن الكريم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، يقول تعالى في عظمة وقوة : **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)**[١٨١].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،،

---

[١٨١] سورة الأسراء : ٨٨

فهرس المراجع :

١. القران الكريم
٢. صحيح البخاري
٣. صحيح مسلم
٤. سنن أبو داود
٥. سنن الترمذي
٦. سنن ابن ماجه
٧. سنن النسائي
٨. مسند أحمد
٩. الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى .
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
١١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٢. الانتصار لأهل الأثر (نقض المنطق)، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن حسن قائد، الناشر: دار عالم الفوائد -مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ه، .
١٣. المحكم لابن سيد بتحقيق إبراهيم الأبياري.
١٤. لسان العرب .
١٥. القاموس المحيط بترتيب الزاوي.
١٦. تاج العروس للزبيدي
١٧. المواقف الإلهية لابن قضيب البان المتوفى ١٠٤٠هـ ملحق بكتاب ((الإنسان الكامل)) لعبد الرحمن البدوي ط وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.
١٨. الإبريز لعبد العزيز الدباغ ط مصر.
١٩. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشعراني طبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
٢٠. المنقذ من الضلال للغزالي المنشور في مجموعة مؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود ط دار الكتاب اللبناني بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٩ م.
٢١. الجواب المستقيم لابن عربي مخطوط ورقة ب ٢٤٦ المندرج في كتاب ((ختم الأولياء)) للحكيم الترمذي (ص٢٢١) ط المطبعة الكاثوليكية بيروت بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى.
٢٢. انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبري .
٢٣. غيث المواهب العلية للنفزي الرندي .
٢٤. الأخلاق المتبولية للشعراني بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة مطبعة حسان القاهرة.
٢٥. مواقع النجوم لابن عربي الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ مطبعة السعادة مصر.

٢٦. إبراهيم المتبولي: الأخلاق المتبولية للشعراني .
٢٧. عوارف المعارف للسهروردي .
٢٨. حكمة الإشراق لشهاب الدين
٢٩. مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار لابن عربي ط مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.
٣٠. فصوص الحكم تحقيق أبو العلا عفيفي .
٣١. القاديانية، إحسان إلهي ظهير.
٣٢. الدر الثمين
٣٣. حقيقة الوحي لمحمود بن المرزا غلام أحمد
٣٤. مجلة أخبار الفضل .
٣٥. تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٣٦. زاد المسير لابن الجوزى
٣٧. تفسير الطبري
٣٨. رسالة التوحيد لمحمد عبده
٣٩. روح الدين الإسلامي عفيف طبارة .
٤٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية
٤١. الفتاوى الكبرى لابن تيمية
٤٢. جامع الرسائل لابن تيمية -رشاد سالم
٤٣. منهاج السنة النبوية لابن تيمية
٤٤. أصول الكافي بشرح الشافي
٤٥. عقيدة ختم النبوة، أحمد الغامدي
٤٦. مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٤٧. شرح العقيدة الطحاوية لناصر العقل
٤٨. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية
٤٩. فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه.
٥٠. لفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية
٥١. ميزان الاعتدال" للذهبي
٥٢. عقيدة ختم النبوة لأحمد بن سعد بن حمدان الغامدي - دار طيبة الرياض
٥٣. براهين أحمدية اطباعة الجماعة الأحمدية – القاديانية .